المبحث الثاني عشر

الجنة والنار بين الإسلام والنصرانية واليهودية

أولًا: في التصور الإسلامي

أ- الجنة:

نتحدث عن الجنة كواقعة من واقعات يوم القيامة، والنعيم الذي يلاقيه المؤمنون فيها. والحديث عن الجنة يشمل عدة حقائق عن الجنة منها:

أنها مخلوقة الآن ومعدة للمؤمنين:

يقول الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران :١٣٣] ويقول عز وجل ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد :٢١] وهاتان الآيتان - وغيرهما في القرآن الكريم - يدلان على أن الجنة مخلوقة الآن، وأنها معدة للمتقين، وأيضًا على سعة الجنة. والمراد من أن عرضها كعرض السماء والأرض أنها كناية عن السعة، إذ لو جعلت السماوات والأرضون طبقًا طبقًا، بحيث تكون كل واحدة من تلك الطبقات سطحًا مؤلفا من أجزاء، ثم وُصِلَ بعضُها ببعضٍ طبقًا واحدًا لكان ذلك مثل عرض الجنة، وهذا غاية في السعة، وخص العرض بالذكر دون الطول لأنه إذا كان العرض على تلك السعة؛ فالظاهر أن الطول يكون أعظم. ونظير هذا قوله تعالى: ﴿بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۖ﴾ [الرحمٰن :٥٤] فإذا كانت البطائن من إستبراق - وهي عادة أقل من الظهارة - فكيف تكون الظهارة! قال القفال: ليس

المراد بالعرض ههنا ما هو خلاف الطول، ولكن هو عبارة عن السعة، كما تقول العرب بلاد عريضة أي واسعة عظيمة، والأصل فيها أن ما اتسع عرضه لم يضق وما ضاق عرضه دق، فجعل العرض كناية عن السعة على حد قول العرب: أعرض في المكارم إذا توسع فيها. والمراد من السماوات، السماوات السبع والأرضون السبع. فعن ابن عباس من طريق السدي أنه قال: تقرن السماوات السبع والأرضون السبع، كما تقرن الثياب بعضُها ببعض، فذاك عرض الجنة، ولا يقال أين هي، ما دام عرضُها السماوات والأرض؟ لأنه قد ورد في الخبر أنها فوق السماوات وتحت العرش. حين سئل أنس بن مالك عن مكانها [١].

وهذه الآية كانت مثارًا للتساؤل عند بعض أهل الكتاب. يقول ابن كثير: **وقد روينا في مسند الإمام أحمد بن حنبل أن هرقل كتب إلى النبي ﷺ، إنك دعوتني إلى جنة عرضها السماوات والأرض. فأين النار؟ فقال النبي ﷺ: «سبحان الله فأين الليل إذا جاء النهار»** [٢].

ويعلق الرازي على هذا بقوله: «**والمعنى والله أعلم أنه إذا دار الفلك حصل النهار في جانب من العالم والليل في ضد ذلك الجانب، فكذا الجنة في جهة العلو والنار في جهة السفل**» [٣]. وكلام الرازي على سبيل الاستئناس، والأولى من ذلك أن نفوض العلم لله لأنها من الغيبيات التي يجب أن نؤمن بها على ما ورد في السمع.

وأما دلالة الآيتين على خلق الجنة. فقد ذهب أهل السنة إلى أن الجنة مخلوقة لأن قوله: ﴿أُعِدَّتْ﴾ [آل عمران :١٣٣]. إخبار عن الماضي، فلا بد أن يكون ذلك قد دخل في الشيء الموجود [٤]. يقول شارح المواقف مستدلًا على خلق الجنة: لنا وجهان:

الأول: قصة آدم وحواء وإسكانهما في الجنة، وإخراجهما عنها بالزلة على ما نطق به الكتاب.

(١) انظر الفخر الرازي جـ ٩ ص٥، ٧، وروح المعاني للألوسي جـ ٤ ص ٥٦، ٥٧ .
(٢) ابن كثير جـ ١ ص ٤٠٤ .
(٣) الفخر الرازي جـ ٩ ص ٦ .
(٤) الرازي جـ ٩ ص ٤ .

الثاني: قوله تعالى في صفتها - أي الجنة - ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران :١٣٣]. ويستدل بالسنة على خلقهما الآن فيقول: ومن تتبع الأحاديث الصحيحة وجد فيها شيئًا كثيرًا مما يدل على وجودها دلالة ظاهرة[١].

ومن الأحاديث التي أشار إليها شارح المواقف ما رواه الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله عز وجل: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ذخرا بَلْهَ ما أطلعكم الله عليه**» ثم قرأ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة :١٧][٢].

ومعنى «بله ما أطلعكم الله عليه» أي دع عنك ما أطلعكم الله عليه، فالذي لم يطلعكم عليه أعظم، وكأنه أضرب عنه استقلالا في جنب ما لم يطلع عليه» [٣].

وروى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين. وقالت الجنة: فما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وغرتهم، قال الله للجنة: إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي**» [٤] وبهذا الحديث وغيره استدل ابن كثير على أن الجنة والنار مخلوقتان معدتان لأصحابهما. كما نطق بذلك القرآن: وتواترت بذلك الأخبار عن رسول الله ﷺ.. ويُرجع ابن كثير السبب في زعم بعض العلماء أن الجنة والنار لم تخلق بعد إلى أنهم لم يطلعوا على الأحاديث المتفق على صحتها في الصحيحين، وذكر منها الحديث السابق، والأحاديث الدالة على رؤية الرسول ﷺ للجنة ليلة الإسراء والمعراج» [٥].

---

(١) شرح المواقف بتصرف جـ ٢ ص ٤٤٥ .
(٢) رواه الإمام مسلم جـ ٢ ص ٥٣٠ .
(٣) انظر مسلم بشرح النووي جـ ١٧ ص ١٦٦ .
(٤) صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢١٨٦، ٢١٨٧ .
(٥) النهاية في الفتن والملاحم جـ ٢ ص ٣٩٢، ٣٩٣ .

ويذكر صاحب المقاصد إجماع المسلمين على خلق الجنة قبل ظهور المخالفين، وذلك للآيات الصريحة التي وردت في ذلك. مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النجم :١٣-١٥] وكقوله في الجنة ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران :١٣٣] ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الحديد :٢١] ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الشعراء :٩٠][(١)] وهذه دلائل ثابتة من الكتاب والسنة، دلائلها واضحة على أن الجنة مخلوقة الآن ومعدة للمتقين [(٢)]. وما عرضناه هو مذهب أهل السنة الذين أجمعوا على أن الجنة مخلوقة الآن.

رأي المعتزلة في خلق الجنة:

يذهب علماء المعتزلة إلى أن الجنة لم تخلق بعد، إذ لو كانت مخلوقة لفنيت؛ لقول الله تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] يقول القاضي عبد الجبار: «**ربما قيل في قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾** [الرعد :٣٥]: أليس فيه الدلالة على أن الجنة مخلوقة الآن، وذلك بخلاف ما تقولون؟ وجوابنا أن جنة الخلد والثواب ليست بمخلوقة الآن، لفنيت [(٣)] إذا أفنى الله تعالى العالم، فكان لا يكون أكلها دائمًا. فدل ذلك على أنه تعالى يخلقها في الآخرة فيدوم أكلها [(٤)].

والذي ذهب إليه القاضي عبد الجبار يفنده صاحب المواقف بقوله: «**إن المراد بالآية: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾** [الرعد: ٣٥] أي: بدلًا، أي كلما فنى منه شيء جيء ببدله فإن دوام أكلٍ بعينه غير متصور، لأن الإنسان إذا أكل شيئًا من الجنة فقد فنى ذلك الشيء، ودوام أكله على سبيل البدل لا ينافي هلاكه» [(٥)]. ويمكن أيضًا تخصيص

---

(١) شرح المقاصد للسعد جـ ٢ ص ١٦١ ، وانظر الإرشاد للجويني ص ٣٧٨ .

(٢) شرح الطحاوية ص ٣٧١ .

(٣) لعلها لو كانت مخلوقة لفنيت حتى تستقيم العبارة.

(٤) تنزيه القرآن عن الظالمين للقاضي عبد الجبار ص ٢٠٤ .

(٥) شرح المواقف جـ ٢ ص ٤٤٥ .

الجنة من الفناء والهلاك، والمراد من قول الله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمٰن :٢٦] أن المراد كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك، والجنة خلقت للبقاء لا للفناء [١] وذلك جمعًا بين الأدلة التي تثبت الفناء والتي تثبت خلق الجنة [٢] ووجودها الآن؛ ويرد صاحب مطالع الأنظار على القاضي عبد الجبار ومن ذهب مذهبه من المعتزلة القائلين بعدم خلق الجنة الآن؛ بأنه لا يلزم من كون الجنة مخلوقة الآن عدم دوامها، لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾؛ لأن معنى الآية أن ما سوى الله معدوم في حد ذاته، وبالنظر إلى ذاته من حيث هو مع قطع النظر عن موجده، لأن كل ما سواه ممكن، والممكن بالنظر إلى ذاته لا يستحق الوجود، فلا يكون بالنظر إلى ذاته موجودًا، وليس معنى الآية أن ما سوى الله تعالى يطرأ عليه العدم، ولذلك فلا يلزم من كون الجنة مخلوقة الآن طريان العدم عليها [٣].

ومما يستدل به القاضي عبد الجبار أيضًا على عدم خلق الجنة قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف :٤٤] يقول: **«كيف يصح ذلك، والجنة ما خلقت بعد ولا دخلوها»**. ويجيب بقوله: **«جوابنا أن التقرير في ذلك، أنه تعالى كتب في اللوح المحفوظ أني سأكلف الناس، فمن أطاع منهم دخل الجنة ومن عصى دخل النار، فعند ذلك ينادي أهلُ الجنة أهلَ النارِ. وليس كلُ ما كُتِبَ في اللوح المحفوظ ينزله الله تعالى إلى الرسول ﷺ** [٤].

ونلاحظ أن القاضي عبد الجبار يؤول النصوص الواردة في خلق الجنة والنار مخالفًا بذلك الآيات القرآنية الصريحة والأحاديث النبوية الصحيحة الدالة على خلق الجنة ونعيمها الآن وإعدادها للمتقين من عباده عز وجل.

---

(١) شرح الطحاوية ص ٣٧٣ .

(٢) مقالات الإسلاميين للأشعري جـ ٢ ص ١٦٧، ١٦٨، والمسايرة في علم الكلام ص ١٥٣ .

(٣) انظر مطالع الأنظار لأبي الثناء شمس الدين الأصفهاني مع متنه طوالع الأنوار للقاضي البيضاوي ص ٤٤٩، ٤٥٠ بدون تاريخ ولا ناشر.

(٤) تنزيه القرآن عن المطاعن بتصرف ص ١٤٧ .

وتبقى هنا جزئية أخرى وهي: هل الجنة التي أعدها الله للمتقين هي الجنة التي أسكن الله آدم فيها، أو هي جنة في الأرض كما ذهب إلى ذلك بعض العلماء؟ يقول الله عز وجل: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة :٣٥] والذين يذهبون إلى أنها الجنة التي أعدها الله للمتقين في الآخرة يستدلون بما رواه الإمام مسلم بسنده عن طاوس قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: **«احتج آدم وموسى، فقال موسى: يا آدم أنت أبونا خَيَّبْتَنا وأخرجتنا من الجنة فقال له آدم: أنت موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدره الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فقال النبي ﷺ: فحج آدم موسى فحج آدم موسى»** (١).

وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«تحاج آدم وموسى، فحج آدمُ موسى، فقال له موسى: أنت آدم الذي أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة. فقال آدم: أنت الذي أعطاه الله علم كل شيء واصطفاه على الناس برسالته؟ قال: نعم. قال: فتلومني على أمر قدر عليَّ قبل أن أخلق؟»** (٢). ووجه الاستدلال أن الجنة التي أسكن الله فيها آدم لو كانت في الأرض فهم قد خرجوا من البساتين، فلم يخرجوا من الجنة (٣). ولو كانت جنة آدم بستانًا في الأرض لكان غيره من بساتين الأرض يعوض عنه (٤).

واستدلوا أيضًا بقول الله تعالى: ﴿قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الأعراف :٢٤].

ووجه الاستدلال بالآية من وجهين:

الوجه الأول: من لفظه: ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾ [البقرة :٣٦] فإنه نزول من علو إلى سفل.

---

(١) رواه مسلم جـ ٤ ص ٢٠٤٢، ٢٠٤٣، طبعة الحلبي.

(٢) رواه الإمام مسلم جـ ٤ ص ٢٠٤٣ ، طبعة الحلبي.

(٣) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن قيم الجوزية ص ٢١ الناشر مكتبة المتنبي القاهرة.

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية جـ ٤ ص ٣٤٩ الناشر مكتبة ابن تيمية – الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ.

الوجه الثاني: قوله: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ [البقرة :٣٦] عقب قوله: ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾ [البقرة :٣٦] فدل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك في الأرض. ثم أكد بعد ذلك هذا بقوله في سورة الأعراف بقوله تعالى: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف :٢٥].

ولو كانت الجنة في الأرض لكانت حياتهم فيها قبل الإخراج [١]. وذلك يدل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك بمكان فيه يحيون وفيه يموتون ومنه يخرجون، وإنما صاروا إليه لما أهبطوا من الجنة [٢] ويستدلون أيضًا على أن فيها الخلد من قول الله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه :١١٨-١١٩] وهذا لا يكون في الدنيا أصلًا. يقول ابن قيم الجوزية **«إن الرجل لو كان في أطيب منازل الدنيا لا بد وأن يعرض له شيء من ذلك»**. وقابل الله بين الجوع والظمأ والعرى والضحى، فإن الجوع ذل الباطن والعري ذل الظاهر. والظمأ حر الباطن والضحى حر الظاهر فنفى عن سكانها ذل الظاهر والباطن وحر الباطن والظاهر، وذلك أحسن من المقابلة بين الجوع والعطش والعرى والضحى، وهذا شأن ساكن جنة الخلد» [٣].

ومن أدلتهم على أن جنة آدم هي جنة الخلد: أنها تأتي في القرآن الكريم على نهج الأسماء الغالبة اللاحقة بالأعلام كالنبي والرسول والكتاب، والبيت ونحوها، ولا يطلق ذلك إلا على معهود، ولا تطلق الجنة هكذا إلى على جنة الخلد [٤]. والجنة جاءت معرفة بلام التعريف في جميع المواضع كقوله ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة :٣٥] وغير ذلك في القرآن كثير. ولا جنة يعهدها المخاطبون يعرفونها إلا جنة الخلد، التي وعد الرحمن عباده بالغيب. وإذا أريد التعبير عن جنة غير جنة الخلد، فإنها تجيء منكرة أو مقيدة بالإضافة أو مقيدة من السياق بما يدل

(١) حادي الأرواح ص ٢٢ .
(٢) مجموع الفتاوى جـ ٤ ص ٣٤٨ .
(٣) حادي الأرواح ص ٢٢ .
(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم جـ ٤ ص ٦٩.

على أنها جنة في الأرض. كقوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ﴾ [الكهف :٣٢] فإنها هنا نكرة: وكقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾ [الكهف :٣٩] فإنها هنا مقيدة بالإضافة. وكقوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [القلم :١٧] فإنها هنا مقيدة بأنها جنة في الأرض، ويفهم هذا من السياق [١]. كانت هذه أدلة الذين ذهبوا إلى أن الجنة التي أسكنها الله لآدم هي جنة الخلد.

وهناك فريقٌ آخر من العلماء يذهب إلى أن الجنة التي أسكن الله فيها آدم وزوجه ليست جنة الخلد. وأدلتهم باختصار في:

أن الله عز وجل قد أخبر على لسان جميع رسله أن جنة الخلد إنما يكون الدخول إليها يوم القيامة ولم يأت زمن دخولها بعد، وقد وصفها الله عز وجل بصفات عديدة، ومحال أن يصف الله شيئًا بصفة ثم يكون ذلك الشيء بغير تلك الصفة، مثل وصف الجنة بأنها دار المقامة فمن دخلها أقام بها وخلد فيها، وآدم لم يقم بها ولا خلد فيها، وجنة الخلد لا تكليف فيها ولا أمر ولا نهي فيها، وهي دار سلامة لا محل ابتلاء، والله عز وجل أخبر عن جنة الخلد بأنها لا لغوٌ فيها ولا تأثيم، وقد سمع فيها آدم لغو إبليس وإثمه، وأخبر أنه لا يسمع فيها لغوًا ولا كذابًا, وقد سمع فيها آدم عليه السلام كذب إبليس، وسماها الله تعالى مقعد صدق، وقد كذب فيها إبليس وحلف على كذبه. قال تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف :٢١][٢].

ويفند أهل السنة حجج من ذهبوا إلى أنها ليست جنة الخلد، بالرد على كل حجة أثاروها:

فبالنسبة للذين يزعمون أن جنة آدم ليست جنة الخلد لأنها لو كانت لما جاز

(١) الفصل لابن حزم جـ ٣ ص ٦٩ وحادي الأرواح ص ٢٤ .

(٢) وانظر الفخر الرازي جـ ٣ ص ٤، وحادي الأرواح ص ٢٥، ٢٩، وفي الأخير عرض كامل للأدلة كلها.

دخولها قبل يوم القيامة. فيجاب بأن المراد بدخولها يوم القيامة الدخول المطلق والاستقرار الدائم فيها، أما الدخول العارض فيمكن أن يقع قبل يوم القيامة. والدليل على ذلك أن الرسول ﷺ دخل الجنة ليلة الإسراء والمعراج، وأن أرواح المؤمنين الشهداء في البرزخ في الجنة.

وأما الاحتجاج بسائر الوجوه من النصب والحزن واللغو والكذب وغيرها فهذا حق لا شك فيه. ولكن هذا يكون إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة. كما يدل عليه سياق الآيات، وهذا لا ينفي أن تلك الأمور حدثت لآدم، ولكنها تصير إلى ما أخبر الله عنها من عدم وجود النصب واللغو وغير ذلك فلا تنافي بين الأمرين.

وأما ما ذهبتم إليه من أن جنة الخلد لا تكليف فيها ولا ابتلاء. وجنة آدم أمره الله فيها ونهاه وابتلاه فجوابه من وجهين:

الأول: أنها لن تكون دار تكليف حين يدخلها المؤمنون يوم القيامة.

الثاني: أن التكليف فيها ليس بالأعمال التي يكلف بها الناس في الدنيا من صلاة وصيام وجهاد، وإنما كان نهيًا عن شجرة إما بنوعها، وإما بعينها وهذا لا يمتنع وقوعه في دار الخلد. كما أن كل واحد محجورٌ عليه أن يقرب أهل غيره فيها، فإن أردتم بكونها ليست دار التكليف بامتناع وقوع مثل هذا فيها في وقت من الأوقات، فلا دليل عليه، وإن أردتم أن تكاليف الدنيا منتفية عنها فهو حق ولكن لا يدل على مطلوبكم [١].

والحق ما ذهب إليه أهل السنة في أن جنة الخلد هي الجنة التي أسكن الله فيها آدم لذكرها في القرآن الكريم معرفة، ولدلالة الأحاديث على ذلك، مثل حديث احتجاج موسى على آدم عليه السلام. وإلى هذا ذهب جمع من العلماء [٢] وهذا هو الذي فطر الله عليه الناس، صغيرهم وكبيرهم، ولم

(١) انظر بالتفصيل حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص ٣٢ ،٣٣، ٣٤ .

(٢) انظر شرح المواقف جـ ٢ ص ٤٤٥، والفصل لابن حزم جـ ٤ ص ٦٩، وحادي الأرواح ص ٢٥، ومجموع الفتاوى جـ ٤ ص ٣٧٤ .

يخطرْ بقلوبهم سواه، وأكثرهم لا يعلم في ذلك نزاعًا [١].

عدد الجنة ودرجاتها:

الجنة: البستان ومنه الجنات. والجنة: اسم لدار الخلد، وهي مشتملة على جنان كثيرة، مرتبة حسب استحقاق العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان [٢]. وعدد الجنات التي يتمتع فيها المؤمنون يوم القيامة أربع، وهذا العدد هو الذي ورد في القرآن الكريم ونطقت به السنة. يقول الله عز وجل في سورة الرحمن ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمٰن :٤٦] وعدَّدَ الله صفات هاتين الجنتين فذكر أنهما ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمٰن :٤٨-٥٢] وذكر أن المؤمنين فيها ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمٰن :٥٤] وذكر الله عز وجل أن ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمٰن :٥٦] وبعد أن ذكر الله هاتين الجنتين وعدد صفاتهما قال تعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمٰن :٦٢] وعدد أوصافهما بقوله تعالى: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ [الرحمٰن :٦٤] وقال: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [الرحمٰن :٦٦] وقال: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمٰن :٦٨] وقال: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمٰن :٧٠] وقال: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمٰن :٧٢] وقال: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمٰن :٥٦] وقال: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمٰن :٧٦] والجنتان الأوليان تختلفان عن الأخريين، إذ إن الله عز وجل قال عن الأوليين ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾ [الرحمٰن :٦٢] ودون تستخدم في اللغة نقيض فوق وهو تقصيرٌ عن الغاية [٣]. وهي إما أن تكون دونًا في الشرف والمنزلة، وأما أن تكون دونًا في المكان.

---

(١) مختار الصحاح ص ١١٤ .
(٢) الكشاف للزمخشري جـ ١ ص ٢٥٧ .
(٣) مختار الصحاح ٢١٦ .

وذهب الزمخشري إلى أن الأخريين دون الأوليين في الشرف والمنزلة: يقول عن الجنتين الأخريين: فإن قلت كيف تقاصرت صفات هاتين الجنتين عن الأوليين حتى قيل ومن دونهما؟ قلت: مدهامتان دون ذواتا أفنان، ونضاختان دون تجريان، وفاكهة دون من كل فاكهة، وكذلك صفة الحور والمتكأ [١]. والرازي يذهب إلى أن الجنتين الأخريين دون الأوليين في المكان، كأنهم في جنتين ويطلعون من فوق على جنتين أخريين دونهما، واستدل بقوله تعالى: ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الزمر :٢٠][٢] ونرجح أن الجنتين الأخريين دون الأوليين في المنزلة والشرف وذلك لأمرين:

الأمر الأول: لأن أوصاف الجنتين الأخريين تختلف عن صفات الأوليين، كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم وفهم الزمخشري ذلك.

الأمر الثاني: ما ورد في الصحيح أن في الجنة مائة درجة ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، وسيأتي الحديث عن ذلك.

وقد رجح ابن قيم الجوزية أن الجنتين يمتازان عن الأخريين بعشر صفات:

الأولى: أنه ذكر في الأوليين بأنهما ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ [الرحمٰن :٤٨] ولم يذكر ذلك في اللتين بعدهما.

الثانية: أنه في الأوليين قال: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [الرحمٰن :٥٠]، وفي الأخريين قال: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [الرحمٰن :٦٦] والنضاخة هي الفوارة. والجارية أفضل من النضاخة؛ لأنها تتضمن الفوران والجريان.

الثالثة: أنه وصف الأوليين بأن فيهما ﴿مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمٰن :٥٢] وقال في الأخريين ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمٰن :٦٨] ولا ريب أن وصف الأوليين أكمل وأفضل.

---

(١) الكشاف للزمخشري جـ ٤ ص ٥٠ .

(٢) تفسير الرازي جـ ٢٩ .

الرابعة: أنه قال في الأوليين ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمٰن :٥٤] وهذا تنبيه على فضل الظهائر وخطرها. وقال في الأخريين ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمٰن :٧٦] وفسر الرفرف بالمحابس والبسط وعلى كل قول لم يصف الأخريين بما وصف فرش الأوليين.

الخامسة: أنه قال في الأوليين ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمٰن :٥٤] أي قريب وسهل يتناولونه كيف شاءوا ولم يذكر ذلك في الأخريين.

السادسة: أنه قال في صفة نساء الأوليين ﴿فِيهِنَّ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ [الرحمٰن :٥٦] أي قد قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يرون غيرهم لرضاهن بهم ومحبتهن لهم، وذلك يتضمن أيضًا قصر نظر أزواجهن عليهن، وقال في الأخريين ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمٰن :٧٢] ومن قصرت طرفَها على زوجها باختيارها أكمل ممن قصرتْ بغيرها.

السابعة: أنه في الأوليين وصف نساءَهن بالياقوتِ والمرجان في صفاءِ اللون وإشراقه وحسنه، ولم يذكر ذلك في التي بعدها.

الثامنة: أنه قال سبحانه في الجنتين الأوليين ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ﴾ [الرحمٰن :٦٠] وهذا يقتضي أن أصحابَهما من أهل الإحسان المطلق الكامل، فكان جزاؤهم بإحسان كامل.

التاسعة: أنه بدأ بوصف الجنتين الأوليين وجعلهما جزاء لمن خاف مقام ربه وهذا يدل على أنهما أعلى، فرتب الجزاءَ المذكور على الخوف ترتيب المسبب على سببه، ولما كان الخائفون على نوعين مقربين وأصحاب يمين ذكر جنتي المقربين ثم بعد ذلك جنتي أصحاب اليمين.

العاشرة: أنه قال عن الأوليين ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمٰن :٦٢] والسياق يدل على أنه نقيض فوق. فإن قيل كيف انقسمت هذه الجنان الأربع على

من خاف مقام ربه؟ قيل: لما كان الخائفون نوعين - كما ذكرنا - كان للمقربين منهم الجنتان العاليتان، ولأصحاب اليمين الجنتان اللتان دونهما[١].

ودلت السنةُ أيضًا على أن عدد الجنات أربع، لا أكثر من ذلك؛ لما رواه الشيخان والترمذي واللفظ لمسلم عن عبد الله بن قيس عن أبيه عن النبي ﷺ قال: **«جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»** [٢] وهذا يدل دلالة واضحة على أنهم أربع، أما ما جاء عن أسماء الجنات في القرآن الكريم من مثل قوله تعالى: جنات المأوى نزلًا - جنات الفردوس - وجنات عدن - ودار السلام - ودار المقامة - ودار الخلد - وجنات النعيم - المقام الأمين - مقعد صدق. فتلك كلها أسماء لها باعتبار صفاتها ومسماها واحد [٣]. يقول الحليمي في منهاج الدين: **«إنما منعنا أن نجعل كل واحدة من العَدْنِ، والمأوى، والنعيم جنة سوى الأخرى؛ لأن الله تعالى إن كان سمى شيئًا من هذه الأسماء جنة في موضع، فقد سمى الجنات كلها بذلك الاسم في موضع آخر. فعلمنا أن هذه الأسماء ليست لتمييز جنة عن جنة، ولكنها للجنان أجمع، وقد أتى الله بذكر العدد فلم يثبت إلا أربعًا»** [٤]. وقد اتضح لنا من الكتاب والسنة أن عدد الجنات أربع؛ لما ذكره الله عز وجل في سورة الرحمن؛ ولما ورد عن رسول الله ﷺ من أنهما أربع: جنتان من فضة وجنتان من ذهب.

درجات الجنة:

ونعني بالدرجات هنا المنازل التي ينزلها الله لعباده المتقين في الجنة، فكما أن الناس يتفاوتون في الإيمان والعمل الصالح فهم يتفاوتون أيضًا في منازلهم عند الله

(١) انظر حادي الأرواح لابن قيم الجوزية ص ٧١، ٧٢، والفخر الرازي جـ ٢٩ ص ١٣٠ .
(٢) صحيح مسلم جـ ١ ص ١٩١ طبعة الحلبي - وتحفة الأحوذي جـ ٧ ص ٢٣٢ .
(٣) حادي الأرواح ص ٦٥ .
(٤) التذكرة للقرطبي جـ ٢ ص ٥٩٧ .

عز وجل. ولقد تحدث القرآن الكريم عن درجات الناس ومنازلهم في الآخرة. يقول الله عز وجل ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء :٩٥-٩٦] ويقول تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال :٢-٤].

ويقول تعالى ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء :٢١] وأغلب المفسرين على أن تلك الدرجات مقصودٌ بها منازل الآخرة, ودرجات الجنة [(١)]. ومما يدل على أن الجنة درجات والمؤمنون يتفاضلون فيها حسب إيمانهم وأعمالهم، ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدُرِّيَّ الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم»**. قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم. قال: **«بلى: والذي نفسي بيده. رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»**[(٢)].

ويستدل ابن حجر بهذا الحديث على أن أهل الجنة تتفاوت منازلهم بحسب درجاتهم في الفضل، إلى حد أن أهل الدرجات العلا ليراهم من هو أسفل منهم كالنجوم، ومعنى ذلك أنهم في العلو كدرجة النجم في السماء حين يراه الناس على الأرض.

---

(١) انظر الكشاف للزمخشري جـ ١ ص ٤٧٦، والفخر الرازي جـ ١٥ ص ١٢٤، والآلوسي جـ ٩ ص ١٦٨ .

(٢) البخاري، ومسلم جـ ٢ ص ٥٣١ .

ويدل أيضًا على درجات الجنة ما رواه الترمذي بسنده عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «**في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها درجة، وفيها تفجر أنهارُ الجنة الأربعة، ومن فوقها يكون عرشُ الرحمن، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس**» (١).

والحديث صريح في أن الجنة درجات وأن في الجنة مائة درجة، وهذه الدرجات متباعدة جدًّا لدرجة أن ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، وأن الفردوس أعلى تلك الدرجات لأنها تحت عرش الرحمن، ومنها تتفجر أنهار الجنة. وهذا الحديث الذي بيَّن درجات الجنة موافق تمامًا لقوله تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١].

وقوله ﷺ «**ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض**» موافق للحديث السابق والذي فيه أن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق.

أبواب الجنة وخزنتها:

يقول الله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

ويقول تعالى: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ [ص: ٤٩-٥٠] والأبواب المفتحة في الجنة تدل على التكريم والحفاوة من خزنة الجنة. وفي الآية الأخيرة وجوه تدل على التكريم كما يقول الرازي:

الأول: أن الملائكة الموكلين بالجنان إذا رأوا صاحب الجنة فتحوا له أبوابها وحيوه بالسلام، فيدخل محفوفًا بالملائكة على أعز حالٍ وأجملِ هيئة.

---

(١) تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ٢٣٧ .

الثاني: أن هذه الأبواب كلما أرادوا فتحها فتحتْ لهم، وكلما أرادوا انغلاقها انغلقت لهم.

الثالث: أن المراد من فتح الأبواب وصف تلك المساكن بالسعة ومسافرة العيون فيها ومشاهدة الأحوال الطيبة [١]، وفيه أن أهل الجنة إذا دخلوا ظلت أبواب الجنة مفتحة عليهم، وأما النار فإن أهلها إذا دخلوها أغلقت عليهم لقوله تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ [الهمزة :٨-٩][٢] وقوله تعالى﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] يقول القرطبي: قال جماعة من أهل العلم هذه واو الثمانية، فللجنة ثمانية أبواب [٣]. ويدل على أن أبواب الجنة ثمانية، ما رواه الإمام البخاري بسنده عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«في الجنة ثمانية أبواب فيها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون»**. وقال النبي ﷺ: **«من أنفق زوجين دُعِي من باب الجنة»**[٤].

وروى الإمام مسلم بسنده عن عقبة بن عامر قال: أدركت رسول الله ﷺ قائمًا يحدث الناس فأدركت من قوله: **«ما من مسلم يتوضأ فيُحسِنُ وضوءه إلا وجبت له الجنة»**. قال: فقلت: ما أجودَ هذه. فإذا قائل بين يدي يقول: التي قبلها أجود فنظرت فإذا عمر قال: إني قد رأيتك جئتَ آنفًا قال: **«ما منكم من أحدٍ يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول أشهدُ أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسولُه؛ إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء»** [٥] فهذه الأحاديث تدل على أن للجنة أبوابًا، وأن بعض الأعمال تسوغ الدخولَ من بابٍ بعينه كالريان، وبعض الأعمال تسوغ للمؤمن أن يدخلَ من أي الأبواب أراد. وعن اتساع أبواب الجنة روى

(١) الفخر الرازي جـ ٢٦ ص ٢١٨، ٢١٩ .
(٢) وانظر حادي الأرواح ص ٣٩ .
(٣) نفسه ص ٣٨، وانظر التذكرة للقرطبي جـ ٢ ص ٥٤٨ .
(٤) فتح الباري جـ ٦ ص ٢٥٣ .
(٥) صحيح مسلم جـ ١ ص ١١٨ .

الترمذي بسنده عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**باب أمتي الذي يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب المجود ثلاثًا. ثم إنهم يضغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول**» (١).

ووجه الجمع بين هذا الحديث وبين الأحاديث الأخرى التي تثبت أن للجنة ثمانية أبواب أن سائر الأمة سوف تدخل من هذا الباب، وأن بقية الأبواب هي للممتازين بالأعمال الصالحة كالصدقة والجهاد، والصوم، والحج، وغير ذلك من الأعمال.

ومما يدل على سعة أبواب الجنة ما رواه مسلم في حديث الشفاعة الطويل وفيه: «**فيقال: يا محمد، أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب. والذي نفس محمدٍ بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبصري**» (٢) ودلالة الحديث على أن أبواب الجنة في منتهى الاتساع، فإن الراكبَ المُجِد غاية الإجادة على أسرع هجين لا يفتر ليلًا ولا نهارًا يقطع هذه المسافة في زمن ليس باليسير (٣).

خزنة الجنة:

إن للجنة خزنة أي مؤتمنين على الجنة، لا يدخلها أحدٌ، إلا بعد أن يفتح خزنتها أبوابَها. والخزنة جَمْعُ خازن كحافِظ وحَفَظَة. والخازن هو المؤتمن على الشيء (٤).

وقد ورد في القرآن الكريم ذكر الخزنة في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ

(١) تحفة الأحوذي جـ ١ ص ٢٥٨ .
(٢) صحيح مسلم جـ ١ ص ١٠٣، ١٠٤ طبعة الحلبي.
(٣) حادي الأرواح ص ٤٣ .
(٤) نفسه ص ٧٥ .

عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر :٧٣] وورد ذكر الخازن فيما رواه مسلم بسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«آتى باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد. فيقول: بك أمرتُ، لا أفتح لأحدٍ قبلك»** (١).

الجنة جزاء للمؤمنين:

تكثر الإشارة في القرآن الكريم إلى أن الله عز وجل أعد الجنة للمؤمنين الذين يعملون الصالحات، وأشار رسول الله ﷺ إلى ذلك في أحاديث كثيرة. يقول الله عز وجل ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة :٨٢] ويقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [هود :٢٣] ومعظم آيات القرآن الكريم تربط بين الإيمان والعمل الصالح لدخول الجنة. ووردت الأحاديث التي تفيد ذلك.

فقد روى الإمام مسلمٌ عن موسى بن طلحة عن أبي أيوب قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: دلني على عمل أعمله يدنيني من الجنة ويباعدني من النار. قال: **«تعبدُ الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل ذا رحمك»**. فلما أدبر قال رسول الله ﷺ: **«إن تَمَسَّكَ به دخل الجنة»** (٢).

وروى مسلم بسنده أيضًا عن أبي هريرة أن أعرابيًا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، دلني على عمل إذا عملته دخلتُ الجنة. قال: **«تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان»**. قال والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئًا أبدًا ولا أنقص منه. فلما ولي قال النبي ﷺ: **«من سرَّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا»** (٣) وهذه الأحاديث مع

(١) صحيح مسلم جـ ١ ص ١٠٥ .
(٢) صحيح مسلم جـ ١ ص ٢٥، ٢٦ .
(٣) صحيح مسلم جـ ١ ص ٢٦ .

آيات القرآن الكريم تربط بين الإيمان والعمل الصالح لدخول الجنة.

وقد وردت أحاديث أخرى تبين أن مطلق الإيمان فقط يدخل الإنسان الجنة. من تلك الأحاديث ما رواه الإمام مسلم بسنده عن المعرور بن سويد قال: سمعت أبا ذر يحدث عن النبي ﷺ أنه قال: **«أتاني جبريل عليه السلام. فبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة. قلت: وإن زني وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق»**[(١)].

وروى مسلم أيضًا عن أبي ذر قال: أتيتُ النبي ﷺ وهو نائمٌ عليه ثوب أبيض، ثم أتيته فإذا هو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ، فجلست إليه، فقال: **«ما من عبدٍ قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة»**. قلت: وإن زنى وإن سرق؟ ثلاثًا ثم قال في الرابعة: **«على رغم أنف أبي ذر»** قال: فخرج أبو ذر وهو يقول: وإن رغم أنف أبي ذر[(٢)].

وهذه الأحاديث تبين أن الشهادتين تدخلان الإنسان الجنة، حتى وإن زنى وإن سرق. والعلماء مختلفون في ذلك، وسوف نعرض للآراء بالتفصيل عند الحديث عن الخلود في النار، ومذاهب العلماء في هذا، والذي يهمنا هنا أن نثبت رأي أهل السنة في أن من آمن وعَمِلَ صالحًا، أدخله الله الجنة, ليس على سبيل الاستحقاق والوجوب، وإنما على سبيل الفضل والرحمة، وأن من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله ومات على كبيرة من غير توبة؛ فهو في مشيئة الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه. إلا أن أهل السنة يقطعون بأن من شهد الشهادتين ومات على كبيرة ولم يتب؛ فإن الله لن يخلده في النار، بل يخرج من النار ويدخل الجنة، لا بطريق الوجوب، وإنما بمقتضى ما سبق من الوعد وثبت بالدليل كتخليد أهل الجنة. ويستدلُ أهل السنة على ذلك بوجوه منها: الآيات والأحاديث الدالة على أن المؤمنين يدخلون الجنة، وليس ذلك قبل دخول النار وفاقًا، فتعين أن يكون بعده وهو مسألة انقطاع العذاب، أو بدونه وهو مسألة العفو التام. فإن الله عز وجل

(١) نفسه جـ ١ ص ٥٢ .

(٢) صحيح مسلم جـ ١ ص ٥٢ .

قال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة :٧] وقال تعالى ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ [غافر: ٤٠].

واستدلوا بالأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ - مثل: «**من قال لا إله إلا الله دخل الجنة**» ومثل قوله ﷺ: «**من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، وإن زنى وإن سرق**»(١).

وأيضًا النصوص المشعرة بالخروج من النار كقوله تعالى: ﴿النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأنعام :١٢٨] وكقوله تعالى ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران :١٨٥](٢).

أطفال المسلمين وأطفال المشركين وأهل الفترة:

ما دمنا قد تحدثنا عن أن الجنة مأوى للمؤمنين الذين عملوا الصالحات، وللمؤمنين الذين نطقوا بالشهادتين، فلنكمل حديثنا ببيان حكم أطفال المسلمين وأطفال المشركين وأهل الفترة.

أولًا: أطفال المسلمين:

يقول الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم :٣٠].

روى الإمام مسلم عن أبي هريرة أنه كان يقول: قال رسول الله ﷺ: «**ما من**

---

(١) مسلم.

(٢) انظر في رأي أهل السنة المقاصد للسعد جـ ٢ ص ١٦٧، ١٦٨، وشرح المواقف للإيجي جـ ٢ ص ٤٤٥ - ٤٤٧، وانظر صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١ ص ٢١٨: ٢٢٠، وفتح المنعم شرح صحيح مسلم جـ ١ ص ٤٩٢، ٤٩٥- وسنتعرض بالتفصيل لرأي المعتزلة وأهل السنة في الخلود في النار.

مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تنتج البهيمةُ بهيمةً جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء» [١] ثم يقول أبو هريرة: واقرءوا إن شئتم ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠] يقول النووي: **«أجمع من يعتد به من علماء المسلمين أن من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة، لأنه ليس مكلفًا، وتوقف فيه البعض»** [٢] والفطرة المذكورة في الآية والحديث مراد بها الإسلام. وهذا هو المعروف عند عامة السلف وأجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بقوله تعالى ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠] مراد بها الإسلام [٣] وما دام الطفل قد مات على الفطرة، أي على الإسلام، فقد أصبح من أهل الجنة. وبالغ ابن كثير فنقل الإجماع ورفع الخلاف بين العلماء في كون أطفال المسلمين في الجنة. يقول: **«لا خلاف بين العلماء أنهم من أهل الجنة، وهذا هو المشهورُ بين الناس ونقطع به»** [٤] ونحن مع ابن كثير في أن كونهم في الجنة هو المشهورُ بين الناس، ولسنا معه في أنه لا خلاف بين العلماء في ذلك، فقد توقف بعض العلماء في ذلك وحجتهُم في ذلك، ما رواه مسلم بسنده عن عائشة أم المؤمنين قالت: توفي صبيٌّ، فقلت: طوبى له! عصفورٌ من عصافير الجنة. فقال رسول الله ﷺ: **«أولا تدرين أن الله خلق الجنة وخلق النار، فخلق لهذه أهلًا ولهذه أهلًا»** [٥].

وقد أجاب العلماء على من توقف في كونهم من أهل الجنة بناء على هذا الحديث بأن الرسول ﷺ لعله نهاها عن المسارعة إلى القطع من غير أن يكون عندها دليل قاطع [٦] ويذكر البيهقي في الاعتقاد وابن حزم في الفِصَل أن الرسول

---

(١) صحيح مسلم جـ ١ ص ٤٥٨ .
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٦ ص ٢٠٧ .
(٣) فتح الباري جـ ٣ ص ١٩٢، ١٩٣ .
(٤) مختصر ابن كثير جـ ٢ ص ٣٧١ .
(٥) صحيح مسلم جـ ٢ ص ٤٥٩، ٤٦٠ .
(٦) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٦ ص ٢٠٧، ٢٠٨ .

ﷺ قال هذا قبل أن ينزل قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ [الطور :٢١] فلما نزل ذلك وأكرم الله أمة محمد بإلحاق ذرية المؤمن به وإن لم يعملوا عمله، وجاءت الأخبار تدل على ذلك أي على دخولهم الجنة [١].

فقد روى الإمام مسلم بسنده عن أبي حسان قال: قلت لأبي هريرة: إنه قد مات لي اثنان، فما أنت محدثي عن رسول الله ﷺ بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا؟ قال: قال: نعم **«صغارهم دعاميص الجنة»** أي صغارهم **«يتلقى أحدهم أباه - أو قال أبويه - فيأخذ بثوبه أو قال بيده، كما آخذ أنا بصنغة ثوبك هذا»** أي بطرف **«فلا يتناهى - أو قال لا ينتهي - حتى يدخله الله وإياه الجنة»** [٢].

وهذا نص صريح في أن أطفال المسلمين في الجنة. أما الحديث الذي احتج به من توقف فيهم وهو حديث عائشة **«عصفور من عصافير الجنة»** [٣]. فلا حجة لهم فيه، كما يقول ابن حزم؛ لأن الرسول ﷺ قال ذلك قبل أن يوحى إليه فلما أوحي إليه بأنهم في الجنة ذكر أنهم دعاميص الجنة - أي صغارهم - وهناك بعض الأشياء التي قالها الرسول ﷺ قبل أن يُعلمه الوحيُ بغيرها. منها ما قاله لعثمان بن مظعُون: **«وما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي»**. وكان هذا قبل أن يخبره الله عز وجل بأنه لا يدخل النار من شهد بدرًا [٤] وهذا ما نميل إليه، لأن أطفال المسلمين ماتوا على الفطرة، ولم يفعلوا شرًّا حتى يجازوا عليه، ولدلالة الأحاديث على ذلك.

ثانيًا: أطفال المشركين

إذا كان هناك شبه اتفاق بين العلماء على أن أطفال المسلمين إذا ماتوا فهم في الجنة؛ فإن العلماء اختلفوا في أطفال المشركين. فذهبت طائفة إلى أنهم في النار، وطائفة ثانية إلى التوقف في حكمهم، وطائفة ثالثة إلى امتحانهم يوم القيامة،

(١) الاعتقاد والهداية إلى طريق الرشاد ص ١٦٦، ١٦٧ للإمام أبي بكر أحمد بن حسين البيهقي - تحقيق أحمد عصام الكاتب - منشورات دار الآفاق الجديدة - الطبعة الأولى ١٩٨١ .

(٢) مسلم جـ ٢ ص ٤٤٨ . (٣) انظر ص ٢٣٨ من هذا البحث.

(٤) الفصل لابن حزم جـ ٤ ص ٦٣، ٦٤ .

وطائفة رابعة إلى أنهم في الجنة. وسنعرض لآراء العلماء ونرجح ما نراه على ضوء النصوص الواردة في القرآن الكريم والراجحة من أحاديث الرسول ﷺ.

الطائفة الأولى:

ذهبوا [١] إلى أنهم في النار تبعًا لآبائهم. واستدلوا بقول الله تعالى حاكيًا على لسان نوح ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح :٢٦-٢٧] واستدلوا أيضًا بما روى عن أم المؤمنين خديجة أنها سألت رسول الله ﷺ عن أولادها منه ﷺ فقال: **«هم في الجنة»** وسألته عن أطفالها من غيره ﷺ فقال: **«في النار»** فأعادت السؤال فقال ﷺ: **«إن شئت أسمعتك تضاغيهم»** [٢] ويفند ابن حزم حجة هؤلاء فيذكر أن قول نوح عليه السلام ليس على إطلاقه، فإنه لم يقل ذلك على كل كافر، بل قال ذلك على كفار قومه خاصة؛ لأن الله تعالى أخبره بأنه ﴿لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود :٣٦] فعندئذ أيقن نوح أنه لن يؤمن من قومه أحد فدعا عليهم. ولو كان الكفار لا يلدون إلا الكفار فماذا يقال في كبار الصحابة. فمع كون آبائهم كفارًا إلا أنهم كانوا من السابقين الأولين. ويفند ابن حزم قول الذين استدلوا بحديث أم المؤمنين خديجة، فيقول: إنه خبر ساقط مطرح لم يروه قط من فيه خير [٣].

الطائفة الثانية:

توقفوا في حكمهم ولم يقطعوا بدخولهم الجنة أو النار. واستدلوا بما رواه الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة قال: سُئِلَ رسول الله ﷺ عن أطفال المشركين، من يموت منهم صغيرًا. فقال: **«الله أعلم بما كانوا عاملين»** [٤].

---

(١) منهم الأزارقة أتباع نافع من الخوارج. انظر الملل والنحل للشهرستاني بهامش الفصل لابن حزم جـ ٢ ص ١٢٧ .

(٢) المقاصد للسعد جـ ٢ ص ١٦٨ .

(٣) الفصل لابن حزم جـ ٤ ص ٦١، ٦٣ .

(٤) صحيح مسلم جـ ٢ ص ٤٥٩ .

وبما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سئل رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين فقال: **«الله إذ خلقهم أعلم بما كانوا عاملين»** [١] ومعنى الحديث كما قال ابن قتيبة: الله أعلم بما كانوا عاملين لو أبقاهم، فلا تحكموا عليهم بشيء[٢]. ومال البيهقي إلى ذلك، يقول عن حكمِ أولاد المشركين: إن حكمهم في الآخرة موكول إلى علم الله عز وجل [٣] ويرد ابن حزم على هذه الطائفة، بأن قوله ﷺ الله أعلم بما كانوا عاملين قبل أن يوحى إليه أنهم في الجنة [٤].

الطائفة الثالثة:

ذهبت إلى أن أولاد المشركين سوف يمتحنون يوم القيامة [٥] بمعنى أن يكلفهم الله بأمر وينهاهم، فإذا أطاعوه أدخلهم الجنة، وإذا عصوه أدخلهم النار. واستدلوا بخبر عن رسول الله ﷺ: **«إذا كانَ يومُ القيامة فإن الله يمتحنهم ويبعث إليهم رسولاً في عرصَة القيامة فمن أجابه أدخله الجنة ومن عصاه أدخله النار»**.

فهنالك يظهر فيهم ما علمه الله سبحانه ويجزيهم على ما ظهر من العلم - وهو إيمانهم أو كفرهم - وذهب إلى ذلك ابن تيمية واعتبر أن هذا **«أجود ما قيل في أطفال المشركين وعليه تتنزل جميع الأحاديث»** [٦]. ويُردُّ على ابن تيمية ومن ذهب مذهبه بأن الحديث الذي يستدلون به على الامتحان للأطفال في الآخرة صح في حق المجانين وأهل الفترة.

يقول ابن حزم: **«هذا القول باطل؛ لأن الأثر الذي فيه هذه القصة إنما جاء في المجانين وفيمن لا يبلغه ذكر الإسلام»** [٧] وذكر ابن حجر في الفتح أنه **«قد صحت مسألة الامتحان في حق المجنون ومن مات في الفترة من طرق صحيحة»** [٨].

(١) فتح الباري جـ ٣ ص ١٩٠ .
(٢) فتح الباري جـ ٣ ص ١٩١ .
(٣) الاعتقاد للبيهقي ص ١٦٥ .
(٤) ابن حزم جـ ٤ ص ٦٤ .
(٥) المقاصد للسعد جـ ٦ ص ١٦٨ .
(٦) مجموع الفتاوى جـ ٤ ص ٢٤٦، ٢٤٧ .
(٧) الفصل لابن حزم جـ ٤ ص ٦٤ .
(٨) فتح الباري جـ ٣ ص ١٩١ .

الطائفة الرابعة:

ذهبت إلى أن أطفال المشركين في الجنة، واستدلوا على ذلك بقول الله عز وجل ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء :١٥].

ومعلوم أن الأطفال لم يبعث الله إليهم رسولا. ويستدلون بقوله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر :٣٨]والطفل لم يكتسب إثمًا حتى يعذب [١].

ويُستدل على أن أطفال المشركين في الجنة بما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: **«كل مولودٍ يولدُ على الفطرة. فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها من جدعاء»** [٢]. وذهب البخاري إلى أن أطفال المشركين في الجنة يقول ابن حجر: **«وقد جزم في تفسير سورة الروم بما يدل على اختيار القول الصائر إلى أنهم في الجنة»** [٣] ورجح النووي ما ذهب إليه البخاري، وذكر أن الصحيح الذي ذهب إليه المحققون أنهم من أهل الجنة [٤]، واستدل بقول الله تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء :١٥].

وبما رواه البخاري بسنده عن سمرة بن جندب وفيه قول الرسول ﷺ: **«فانطلقنا حتى انتهينا إلى روضة خضراء، فيها شجرة عظيمة، وفي أصلها شيخ وصبيان»** وفي نهاية الحديث **«والشيخ في أصل الشجرة إبراهيم عليه السلام والصبيان من حوله أولاد الناس»** [٥] ودلالة الحديث أن أولادَ الناس - وهو اسم جنس يشمل المؤمن والكافر - حول إبراهيم عليه السلام في الجنة، والفطرة في الحديث معناها الإسلام كما هو معروف عند السلف [٦].

---

(١) انظر الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٣٧٧، ٣٧٨ .
(٢) فتح الباري جـ ٣ ص ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤ .
(٣) نفسه جـ ٣ ص ١٩٠ .
(٤) مسلم بشرح النووي جـ ١٦ ص ٢٠٨ .
(٥) فتح الباري جـ ٣ ص ١٩٥، ١٩٦ .
(٦) انظر فتح الباري جـ ٣ ص ١٩٢، ١٩٣، ومسلم بشرح النووي ١٦ ص ٢٠٨ .

وانتصر ابن حزم للرأي القائل بأن أطفال المشركين في الجنة، وفند أدلة الذين توقفوا في أمرهم، والذين ذهبوا إلى أنهم في النار، والذين قالوا بامتحانهم يوم القيامة. يقول: وجدنا الله تعالى قد قال ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم :٣٠] وقال ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ [البقرة :١٣٨] نص الله تعالى على أنه فطر الناس على الإيمان، وأن الإيمان هو صبغة الله تعالى، وقال الله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف :١٧٢].

وقال تعالى ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحجر :٤٢] يقول ابن حزم: فصح يقينا أن الغواية داخلة على الإيمان، وأن الأصل في كل واحد هو الإيمان، وكل مؤمن فهو في الجنة.

وقال تعالى ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [الليل :١٤-١٦] وليست هذه صفة الصبيان، فصح أنهم لا يدخلون النار. ولا دار إلا الجنة، ويقول: صح بالثابت من السنن وصحيحها أن جميع من لم يبلغ من أطفال المسلمين والمشركين ففي الجنة، ولا يحل لأحد تعدي ما صح بالقرآن والسنن[1]. والحق ما ذهب إليه ابن حزم، فهو الذي تعضده الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وهو الذي يتفق مع روح الإسلام.

* * *

(١) الفصل لابن حزم جـ ٤ ص ٦٤، ٦٥ .

أهل الفترة:

ونقصد بأهل الفترة الذين لم تبلغهم رسالة الإسلام سواء قبل بعثة الرسول ﷺ، أو بعد بعثته ﷺ، والمشهور أنهم لا يعذبون لعموم قوله تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء :١٥] وهذا ما عليه أهل الكلام من الأشاعرة، وأصحابُ الأصول والشافعيون من الفقهاء، أن أهل الفترة لا يعذبون. وأطلقوا القول في ذلك. فإن قيل: قد صح عذاب جماعة من أهل الفترة فقد أجيب بأن أحاديثهم آحاد، لا تعارض القطع بعدم التعذيب قبل البعثة، أو يجوز أن يكون التعذيب مقصورًا على من غيَّر وبدل من أهل الفترة بما لا يعذر به كعبادة الأوثان وتغيير الشرائع. كما فعل عمرو بن لحي [١] وهو أول من أطلق السائبة.

وذهب بعض العلماء إلى أنهم يُمتَحنون، بمعنى أن يكلفهم الله يوم القيامة ويأمرهم وينهاهم، فمن أطاع دخل الجنة ومن عصى دخل النار، واستدلوا ببعض الأخبار التي وردت عن رسول الله ﷺ في ذلك. منها ما رواه البزار عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ **«الهالك في الفترة والمعتوه والمولود. يقول الهالك في الفترة: لم يأتني كتاب. ويقول المعتوه: رب لم تجعل لي عقلا أعقِلُ به خيرًا ولا شرًا. ويقول المولود: رب لم أدرِكْ العقل. فترفع لهم النار فيقال لهم: ردوها. قال: فيردها من كان في علم الله سعيدا لو أدرك العمل، ويمسك عنها من كان في علم الله شقيا لو أدرك العمل، فيقول: إياي عصيتم، فكيف لو أن رسلي أتتكم»** [٢].

وما رواه معاذ بن جبل؛ أن رسول الله ﷺ قال: **«يؤتى يوم القيامة بالممسوخ عقلا وبالهالك في الفترة وبالهالك صغيرًا. فيقول الممسوخ: يا رب لو آتيتني عقلا ما كان من آتيته عقلا بأسعد مني. وذكر في الهالك في الفترة والصغير نحو ذلك، فيقول الربُ عز**

(١) روح المعاني للألوسي جـ ١٥ ص ٣٦، ٤٠ .
(٢) ابن كثير جـ ٣ ص ٣٠ .

وجل: إني آمركم بأمر فتطيعوني؟ فيقولون: نعم. فيقول: اذهبوا اذهبوا فادخلوا النار. قال: ولو دخلوها ما ضرتهم، فتخرج عليهم قوابض، فيظنون أنها قد أهلكت ما خلق الله من شيء، فيرجعون سراعًا، ثم يأمرهم الثانية فيرجعون كذلك. فيقول الربُّ عز وجل: قبل أن أخلقكم علمت ما أنتم عاملون، وعلى علمي خلقتكم، وعلى علمي تصيرون. فتأخذهم النار» [(١)] وهذه الأخبار وردت من طرق متعددة [(٢)] كما جاء في الإصابة. يقول ابن حجر: **«قد صحت مسألة الامتحان في حق المجنون ومن مات في الجاهلية من طرق صحيحة»** [(٣)]، وحكى البيهقي في الاعتقاد بأن ذلك هو الصحيح والبعض رد هذه الأخبار بناء على أن الامتحان في الآخرة لا يجوز؟ لأن الآخرة دار جزاء ولا تكليف فيها. ويفند ابن كثير هذا الرأي بقوله: لا شك أن الآخرة دار جزاء، ولا ينافي التكليف في عرصاتها قبل دخول الجنة والنار، وقد قال تعالى ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم :٤٢] وقد ثبت في الصحاح وغيرها أن المؤمنين يسجدون لله يوم القيامة، وأن المنافقين لا يستطيعون ذلك، ولا تُرَدّ هذه الأخبار بحجة أنهم كيف يدخلون النار وليس ذلك في وسعهم؟ فليس هذا يمنع صحة الحديث، فإن الله يأمر عباده بالمرور على الصراط، وليس دخولهم النار بأعظم من المرور على الصراط.

وقد ثبت في السنة أن الدجَّال الذي يأتي قبل قيام الساعة معه جنة ونار، وقد أمر الشارع الذين يدركونه أن يشرب أحدُهم من الذي يرى أنه نار، فإنه يكون عليه بردًا وسلامًا، فهذا نظير ذاك[(٤)].

ونرجح الرأي القائل بأن أهل الفترة يمتحنون في الآخرة لصحة الأحاديث الواردة في ذلك. وهذا أفضل ما يجبُ أن تُحَمَّل عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة في أهل الفترة ومن في حكمهم كالذين لم تبلغهم دعوة الإسلام

---

(١) نفسه.
(٢) روح المعاني للألوسي جـ ١٥ ص ٤١ .
(٣) فتح الباري جـ ١٣ص ١٩١.
(٤) ابن كثير جـ ٣ ص ٣١، والاعتقاد للبيهقي ص ١٧ وما بعدها.

إطلاقًا، ولم يسمعوا عن القرآن ولا عن الرسول ﷺ.

نعيم الجنة:

مما يذكره القرآن الكريم والسنة المطهرة النعيم الذي يتنعم به أهل الجنة، الجنات التي تجري من تحتها الأنهار، وفيها الأزواج المطهرة، وفيها رضوان الله الذي يحله على المؤمنين في الجنة. بقول الله تعالى ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران :١٥].

ويقول سبحانه وتعالى ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٢٥] وهذه الآية وما قبلها دلت على كمال النعيم والسرور، لأن مجامع اللذات تكون في المسكن، والمطعم، والمنكح، فذكر الله عز وجل المسكن بقوله ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة :٢٥] والمطعم بقوله ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ﴾ [البقرة :٢٥]، والمنكح بقوله ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ﴾ [البقرة :٢٥] ثم أكمل الله هذا النعيم على عباده في الجنة برفع الخوف، والحزن من زوال هذه الملذات [١] فقال ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة :٢٥] وأكمل النعيم بالبقاء والخلود، ثم بإحلال الرضوان على المؤمنين في الجنة. ويشرح رسول الله ﷺ نعيم أهل الجنة في الطعام والشراب فيما رواه مسلم بسنده عن جابر بن عبد الله. قال: قال رسول الله ﷺ: **«يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ولا يتغوطون ولا يتمخطون ولا يبولون، ولكن طعامهم ذلك جشاء كرشح المسك، يُلْهَمُونَ التسبيحَ والحَمْدَ كما تُلْهَمُون النَّفَس»** [٢].

---

(١) تفسير الفخر الرازي جـ ٢ ص ١٤٦ .

(٢) رواه الإمام مسلم جـ ٢ ص ٥٣٣ .

ولا غرابة في طعام أهل الجنة وشرابهم مع عدم بولهم وتغوطهم. ويذكر القرآن الكريم أيضًا عن طعامهم أن لهم: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة: ٢٠-٢١] وأخبر رسول الله ﷺ عن طير الجنة ولذتها. روى الترمذي بسنده عن أنس بن مالك قال: سئل رسول الله ﷺ ما الكوثر؟ فقال: «**ذاك نهر أعطانيه الله - يعني في الجنة - أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل، فيه طير أعناقها كأعناق الجزر**» قال عمر: إن هذه لناعمة. فقال رسول الله ﷺ «**أكلتها أنعمُ منه**» (١) قال الترمذي هذا حديث حسن. ومعنى أنها ناعمة أي سمان مترفة. وسُئِلَ رسول الله ﷺ عن أول طعام أهل الجنة فقال فيما رواه مسلم عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ أن يهوديا سأل الرسول ﷺ عن أول الناس إجازة. قال: «**فقراء المهاجرين**» قال اليهودي: وما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: «**زيادة كبد النون**» قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: «**ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها**» (٢).

وأما شراب أهل الجنة. فإن القرآن الكريم عدَّدَ أصنافًا شتى من الشراب لأهل الجنة، فهم يشربون: ﴿مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٥-٦] والأبرار يوم القيامة ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين :٢٥-٢٨]. ومعنى الرحيق المختوم أن الأبرار يشربون من شراب مختوم عليه، تكريمًا له بالصيانة، وعلى ما جرت العادة من ختم ما يكرم أو يصان، وهناك خمر آخر منه الأنهار التي ورد ذكرها في قوله تعالى ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [محمد :١٥] إلا أن هذا الرحيق المختوم أشرف وأطيب وألذ من أنهار الخمر المشار إليها، والمعنى لذاذة المقطع وذكاء الرائحة مع طيب الطعم. والتسنيم علمٌ لعين في الجنة، إما لأنها أرفع شراب في الجنة وإما أنها تأتي للأبرار

(١) تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ٢٥٠ .

(٢) صحيح مسلم جـ ١ ص ١٤٢.

من فوقهم. قال ابن عباس أشرف شراب أهل الجنة هو تسنيم، لأنه يشربه المقربون صرفًا. ويمزج لأصحاب اليمين» [١].

وأما مساكن أهل الجنة فإن القرآن الكريم يذكر عن تلك المساكن أنها طيبة. يقول الله تعالى ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الصف :١٢].

وتحديث الرسول ﷺ عن تلك المساكن الطيبة - فيما رواه مسلم بسنده عن عبد الله بن قيس عن أبيه عن النبي ﷺ - قال: **«إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولُها ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون يطوفُ عليهم المؤمن فلا يرى بعضُهم بعضًا»** [٢].

وروى الترمذي بسنده عن النعمان بن سعد عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن في الجنة لغرفًا يُرى ظهورُها من بطونِها وبطونُها من ظهورِها»**. فقام إليه أعرابي فقال: لمن هي يا نبي الله؟ قال: **«هي لمن أطابَ الكلامَ، وأطعمَ الطعامَ، وأدامَ الصيامَ، وصلىَ لله بالليل والناس نيام»** [٣].

وعن زوجات أهل الجنة ذكر الله عز وجل أن للمؤمنين أزواجًا مطهرة - من الحيض والاستحاضة وجميع الأقذار - يقول الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الدخان :٥١-٥٤] ويقول عز وجل عن تلك الحور ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمن :٧٢].

عن ابن عباس: الحور في كلام العرب البيض. وكذا قال قتادة، وقال مجاهد: الحور العين التي يحار فيهن الطرف باديًا مخ سوقهن من وراء ثيابهن، ويرى الناظر وجهه في كبدِ إحداهن من رقة الجلْدِ وصفاءِ اللون [٤] ومعنى مقصورات في

(١) تفسير الفخر الرازي جـ ٣١ ص ٩٩، ١٠٠، وحادي الأرواح ص ١٢٩، ١٣٠ .
(٢) صحيح مسلم جـ ٢ ص ٥٣٤ .
(٣) تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ٢٣١ .
(٤) حادي الأرواح ص ١٥٠ .

الخيام أي وصفهن الله بصفات النساء المخدرات المصونات، وذلك أجمل في الوصف. ولا يلزم من ذلك أنهن لا يفارقن الخيام إلى الغرف والبساتين، كما أن نساء الملوك وغيرهن من النساء المصونات لا يُمْنَعْنَ أن يخرجن إلى البساتين وغيرها، فوصفهن اللازم لهن القصر في البيت، ويعرض لهن الخروج مع الخدم للتنزه [١].

وعن صفة الحور العين ورد قول الرسول ﷺ فيما رواه مسلم عن أبي هريرة: **«إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضوإِ كوكب دري في السماء، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم، وما في الجنة أعزب»** [٢].

وروى البخاري بسنده عن سهل بن سعد رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **«الروحة والغدوة في سبيل الله أفضلُ من الدنيا وما فيها. الحورُ العين وصفتهن يحارُ فيها الطَرْفُ، شديدةُ سوادِ العين، شديدة بياض العين، وزوجناهم بحور أنكحناهم»** [٣] ومعنى يحار فيها الطرف: أي يتحير. ومعنى زوجناهم بحور أنكحناهم: أي جعلناهم أزواجًا أي اثنين اثنين؛ كما تقول زوجت النعل بالنعل، والمعنى جعلنا ذكران أهل الجنة أزواجًا بحور من النساء [٤].

وقد وردّ عن رسول الله ﷺ أن المؤمن يعطى قوة مائة رجل من الرجال في الجماع. روى الترمذي بسنده عن أنس عن النبي ﷺ قال: **«يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا في الجماع»**. قيل: يا رسول الله أو يطيق ذلك؟ قال: **يعطى قوة مائة»** [٥] والقوة هنا كناية عن الجماع كعشرين أو ثلاثين أو مائة.

---

(١) نفسه ص ١٥٤ .

(٢) صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢١٧٨، ٢١٧٩ .

(٣) فتح الباري جـ ٦ ص ١١ .

(٤) نفسه.

(٥) تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ٢٤١ .

والمعنى أن المؤمن لو أراد ذلك لأعطى القوة[١].

التزاور بين أهل الجنة:

من ألوان النعيم في الجنة التزاور الذي يكون بين المؤمنين في الجنة ولقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك التزاور وتحدث عنه الرسول ﷺ مبينا أن هذا التزاور من تمام النعمة والمتعة على المؤمنين في الجنة. يقول الله تعالى ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور :٢٤-٢٨].

وهذا التزاور بين المؤمنين إشارة إلى أنهم يعلمون ما جرى عليهم في الدنيا ويذكرونه، فتزداد لذة المؤمنين، حيث يرون أنفسهم قد انتقلوا من سجن الدنيا إلى جنة الآخرة، وهذا أعظم نعيم بالقياس إلى الدنيا وشقائها [٢]. وروى الترمذي حديثًا طويلًا عن رسول الله ﷺ يبين زيارة المؤمنين بعضهم لبعض وزيارتهم لربهم في الجنة، وما يعود عليهم من النعيم والمتع في ذلك.

روى الترمذي بسنده عن سعيد بن المسيب؛ أنه لقى أبا هريرة، فقال أبو هريرة أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة. فقال سعيد: أفيها سوق؟ قال: نعم أخبرني رسول الله ﷺ **«أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم، ثم يؤذن في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا، فيزورون ربهم ويبرز لهم عرشه، ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة، فتوضع لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من ياقوت، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم - وما فيهم من دنئ - على كثبان المسك والكافور، ما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسًا»**. قال أبو هريرة. قلت: يا رسول الله وهل نرى ربنا؟ قال: **«نعم. هل تتمارون في رؤية الشمس**

---

(١) نفسه.

(٢) الفخر الرازي جـ ٢٨ ص ٢٥٤، ٢٥٥ .

والقمر ليلة البدر؟» قلنا: لا. قال: «كذلك لا تمارون في رؤية ربكم ولا يبقى في ذلك المجلس رجل إلا حاضره الله محاضرة، حتى يقول للرجل منهم يا فلان بن فلان. أتذكرُ يومَ قلت كذا وكذا. فيذكره ببعض غدراته في الدنيا. فيقول: يا رب أفلم تغفر لي؟ فيقول: بلى فبسعة مغفرتي بلغت منزلتك هذه. فبينما هم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيبًا لم يجدوا مثل ريحه شيئًا قط. ويقول ربنا: قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة، فخذوا ما اشتهيتم. فنأتي سوقًا، قد صفت به الملائكة، فيه ما لم تنظر العيون إلى مثله، ولم تسمع الآذان، ولم يخطر على القلوب، فيحمل إلينا ما اشتهينا، ليس يباع فيها ولا يشترى، وفي ذلك السوق، يلقى أهل الجنة بعضُهم بعضًا، قال: فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه - وما فيهم دَنيٌّ - فيروعه ما يرى عليه من اللباس، فما ينقضي آخر حديثه حتى يتخيل عليه ما هو أحسن منه، وذلك أنه لا ينبغي لأحدٍ أن يحزَن فيها، ثم ننصرف إلى منازلنا فتتلقانا أزواجُنا، فيقلن: مرحبًا وأهلاً، لقد جئت وإن لك من الجمال أفضل مما فارقتنا عليه. فيقول: إنا جالسنا اليومَ ربَّنا الجبار، ويحق لنا أن ننقلب بمثل، ما انقلبنا» [(١)].

والحديث يدلُّ على تزاور المؤمنين بعضهم ببعض في الجنة وزيارة ربهم لهم، وما يلاقونه من نعيم ولذة في هذا التزاور. ويدل أيضًا على نزع الغل والحَزَنِ من صدورهم في الجنة ورضا كل واحدٍ منهم بمنزله الذي أنزله الله فيه، وهذا الرضا من ألوان النعيم الذي ينعم الله به أولياءه في الجنة.

أدنى أهل الجنة منزلة:

من فضل الله عز وجل على المؤمنين في الجنة أن يوسع لهم في العطاء، وقد روت لنا السنة أحاديث عن أدنى أهل الجنة منزلة، وكيفَ أن له مثل ملك من ملوك الدنيا عشر مرات. روى الإمام مسلمٌ بسنده عن المغيرة بن شعبة رفعه إلى رسول الله ﷺ قال: «**سأل موسى ربَّه ما أدنى أهل الجنة منزلة؟**

(١) تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ٢٥٩، ٢٦٣ .

قال: هو رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة، فيقول: أي رب، كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملكِ من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيتُ رب. فيقول: لك ذلك، ومثله، ومثله، ومثله. فقال في الخامسة: رضيت رب. فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك، ولذت عينك. فيقول: رضيت رب. قال: رب فأعلاهم منزلةً؟ قال: أولئك الذين غرستُ كرامتهم بيدي. وختمت عليها فلم تر عينٌ، ولم تسمع أذنٌ، ولم يخطر على قلب بشر. قال ومصداقه في كتاب الله عز وجل ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة :١٧][(١)] والحديث بيَّن أدنى أهل الجنة منزلة. والملك الذي يعطيه الله له. ويبين أيضًا المكانة التي يصل إليها أعلى الناس منزلة يوم القيامة. فالنعيم وصل إلى درجة أنه لا يعبر عنه في الدنيا وإنما يعرفونه في الآخرة، ليزدادوا نعيمًا فوق نعيمهم.

وروى الترمذي بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: **«أدنى أهل الجنة منزلة الذي كان له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية إلى صنعاء»** [(٢)] وهذا العدد للمبالغة في الكثرة ويقصد بالزوجة هنا من الحور العين، ولا تعارض بين حديث الترمذي والأحاديث الأخرى التي تثبت أن لكل مؤمن زوجتين من الحور العين، لأنه إما أن يراد لكل واحد من السراري زيادة على الزوجتين هذا العدد، وإما أن يراد أن يعطى قوة من يجامع هذا العدد. والأحاديث الصحيحة ورد فيها أن لكل من أهل الجنة زوجتين وليس في الصحيح من الأحاديث زيادة على ذلك [(٣)] ومعنى تنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد كما بين الجابية وصنعاء. الجابية قرية بالشام وصنعاء باليمن تشبه دمشق في كثرة الماء والشجر والمسافة بينهما طويلة والمعنى أن فسحة القبة وسعتها

(١) صحيح مسلم جـ ١ ص ٩٨ .
(٢) تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ٢٨٤ .
(٣) حادي الأرواح ص ١٦٠ .

طولًا وعرضًا -وبعد ما بين طرفيها- كما بين الموضعين» [١].

رؤية الله في الجنة:

من أكبر ألوان النعيم الذي يمن الله به على عباده المؤمنين في الجنة: أن يرى المؤمنون ربهم في الجنة. وسنشير إلى ذلك سريعًا [٢]، يقول الله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة :٢٢-٢٣] ويقول تعالى ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس :٢٦].

يقول الإمام الأشعري «الزيادة. **النظر إلى الله عز وجل ولم يُنعِم الله عز وجل أهل جناته بأفضل من نظرهم إليه ورؤيتهم له. وقال عز وجل ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾** [ق :٣٥] قيل النظر إلى الله عز وجل. وقال ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ [الأحزاب :٤٤] وإذا لقيه المؤمنون رأوه» [٣].

وردت أحاديث متعددة عن الرسول ﷺ في إثبات الرؤية - يقول عنها الأشعري: إنها وردت من طرق مختلفة عدد رواتها أكثر من عدد رواة خبر الرجم، ومن عدد من روى عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا وصية لوارث**»، وأكثر من عدد رواة الحديث الذي فيه: «**لا تنكح المرأة على عمتها ولا خالتها**» [٤] ويقصد الأشعري بذلك أننا كما نعتد بهذه الأحاديث في أحكام الدين والحلال والحرام فينبغي أن نعتد بأحاديث الرؤية في إثبات رؤية الله في الآخرة. وهو يرد بذلك على المعتزلة الذين ينفون الرؤية، ويؤولون الآيات القرآنية ويردون الأحاديث فيها.

ومن الأحاديث الصحيحة التي تثبت الرؤية للمؤمنين في الجنة ما رواه الترمذي عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أدنى أهل الجنة منزلة لمَنْ**

(١) تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ٢٨٤ .

(٢) سنتحدث في مبحث خاص عن رؤية الله في الآخرة مبينين أدلة المجوزين وأدلة المانعين - بالتفصيل إن شاء الله.

(٣) الإبانة عن أصول الديانة ص ١٩ .

(٤) نفسه.

ينظر إلى جناته وزوجاته ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية» ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة :٢٢-٢٣][(١)].

ورؤية المؤمنين لله عز وجل لون من ألوان النعيم الذي يتمتع به المتقون يوم القيامة، ومن ألوان النعيم الذي يتنعم به المؤمنون: إحلال الرضوان عليهم يوم القيامة [(٢)].

خلود الجنة ونعيمها وأهلها:

أجمع أهل السنة على أن الجنة باقية ونعيمها لا يزول وأهلها كذلك. يقول الإمام الأشعري: **«أجمع أهل الإسلام جميعًا - إلا الجهم -** [(٣)] **أن نعيم أهل الجنة دائم لا انقطاع له»** [(٤)] وينقل صاحب المقاصد الإجماع على خلود أهل الجنة في الجنة [(٥)].

والبغدادي في أصول الدين ينقل الإجماع عن أهل السنة وكل من سلف من أخبار الأمة على دوام بقاء الجنة [(٦)]. ويستدل أهل السنة على ذلك بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة التي تثبت بقاء الجنة ودوام نعيمها وخلود أهلها. من هذه الآيات قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة :٧-٨].

وقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝١٠٧

(١) تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ٢٧٠ .
(٢) سنتحدث بالتفصيل في مبحث خاص عن النعيم المادي والروحاني لأهل الجنة إن شاء الله.
(٣) سنتعرض لحجته ومن ذهب مذهبه من أن نعيم أهل الجنة زائل.
(٤) مقالات الإسلاميين جـ ٢ ص ١٦٧، ١٦٨ .
(٥) شرح المقاصد جـ ٢ ص ١٦٧ .
(٦) أصول الدين للبغدادي ص ٢٣٩ .

obeikandl.com

خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف :١٠٧-١٠٨]. ويستدلون بقوله تعالى ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود :١٠٨].

والسلف مختلفون في هذا الاستثناء. فقيل: معناه إلا مدة مقامهم في الموقف، وقيل: إلا مدة مقامهم في القبور. وقيل: إن هذا استثناء استثناه الله ولا يفعله. وقيل في هذا الاستثناء: معناه أنهم باقون في الجنة مدة دوام السماوات والأرض إلا ما شاء الله أن يزيدهم عليه على مدة العالم. ومن المفسرين من ذهب إلى أنَّ «إلا» بمعنى لكن، فيكون الاستثناء منقطعًا، ورجحه ابن جرير وقال: إن الله تعالى لا خلف لوعده. ومنهم من ذهب إلى أن الاستثناء في الآية مراد به الإعلام للخلق جميعًا بأن خلود المؤمنين في الجنة في مشيئته لأنهم لا يخرجون عن مشيئته، ولا ينافي ذلك عزيمته وجزمه لهم بالخلود، ونظائره في القرآن الكريم مثل قوله تعالى ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ [الإسراء :٨٦] ومثل قوله تعالى ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشورى :٢٤] وهذا معناه أن الأمور كلها بمشيئة الله ما شاء كان وما لم يشأ لم يكنْ. ومن العلماء من ذهب إلى أن قوله تعالى ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود :١٠٨] آية محكمة [١].

نلاحظ أن الآراء كلها - التي اختلفت في معنى الاستثناء - اتفقت على أن أهل الجنة خالدون فيها أبدًا، وأن الاستثناء إما في الفترة قبل أن يدخلوا الجنة، وتلك الفترة في الوقت وخلافه، ما شاء الله لهم ألا يكونوا فيها في الجنة، وإما أن يكون استثناء ذكره الله ولم يفعله ليعلم عباده أن الأمر كله بيد الله. كما قال للرسول ﷺ ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشورى :٢٤].

---

(١) انظر شرح الطحاوية ٢٧٣، ٢٧٤، وحادي الأرواح ٢٤٢/ ٢٤٣/ ٢٤٤، وروح المعاني للألوسي جـ ١٢ ص ١٤٢، ١٤٦ .

ولم يختم الله على قلب رسوله ﷺ. ويؤيد أبدية أهل الجنة فيها في قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦].

وقد دلت السنةُ على خلود أهل الجنة في الجنة، فقد روى البخاري بسنده عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا صار أهلُ الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جيء بالموت حتى يُجْعَل بين الجنة والنار، ثم يذبح، ثم ينادي مناد يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت. فيزداد أهل الجنة فرحًا إلى فرحهم. ويزدادُ أهلُ النار حزنًا إلى حزنهم**» (١).

وروى الترمذي بسنده عن أبي سعيد يرفعه قال: «**إذا كان يوم القيامة أتى بالموت كالكبش الأملح، فيوقف بين الجنة والنار فيُذبح، وهم ينظرون، فلو أن أحدًا مات فرحًا لمات أهل الجنة، ولو أن أحدًا مات حزنًا لمات أهل النار**» (٢).

وعلق القرطبي على الأحاديث التي تثبت ذبح الموت فيقول: «**إن الموت معنى وهو لا ينقلب حيوانًا، بل يخلق الله أشخاصًا من ثواب الأعمال، وكذلك الموتُ يخلق الله كبشًا يسميه الموت، ويلْقى في قلوب الفريقين أن هذا هو الموت، ويكون ذبحه دليلاً على الخلود في الدارين**» (٣) وذكر آخرون بأنه لا مانع أن ينشئ الله من الأعراض أجسادًا يجعلها مادة لها كما ثبت في الصحيح أن سورة البقرة وآل عمران تأتيان كأنهما غمامتان يوم القيامة (٤). والأولى في هذا أن نتوقف عن تفسير هذه الأشياء ولا نعترض عليها، ولكن نفوض الأمر لله في كيفية ذبح الموت وخلاف ذلك. قال الترمذي: «**والمذهب عند أهل العلم من الأئمة رضي الله عنهم - مثل سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وابن المبارك، وابن عيينة ووكيع، وغيرهم - أنهم قدروا هذه الأشياء**

---

(١) فتح الباري جـ ١١ ص ٣٥١ .
(٢) تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ٢٧٨ .
(٣) التذكرة للقرطبي جـ ٢ ص ٥٢٨ .
(٤) تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ٢٧٨، ٢٧٩ .

وقالوا: نروي هذه الأحاديث، ولا يقال كيف؟ وهذا الذي اختاره أهل الحديث أن تروي هذه الأشياء ولا تفسر ولا تتوهم» (١).

ومن الأحاديث التي تثبت خلود أهل الجنة ما رواه الترمذي بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«أهل الجنة جردٌ، مُرْدٌ كحلى، لا يفنى شبابهم، ولا تبلى ثيابهم»** (٢).

ومما تجدر الإشارة إليه أن المعتزلة يوافقون أهل السنة في بقاء الجنة ونعيمها وخلودِ أهلها، وجمهورهم يقولون بدوام النعيم لأهل الجنة.

ورد في كتاب تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار قوله: «ربما قيل في **قوله تعالى** ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود :١٠٧] إن ذلك الاستثناء يدل على انقطاع العقاب. فكيف يصح ذلك مع قولكم بالخلود؟ وجوابنا: أن المراد أوقات الموقف للمحاسبة، قبل دخول النار، وعلى هذا الوجه ذكر الله تعالى في السعداء مثل ما ذكره في الأشقياء فقال: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [هود :١٠٨](٣) وهذا يدل عل أن جمهور المعتزلة يقول بدوام الجنة ونعيم أهلها.. ولكن بعضًا منهم ذهب إلى فناء نعيم أهل الجنة.

يقول ابن حزم: **«اتفقت فرق الأمة كلها على أن لا فناء للجنة ولا لنعيمها ولا للنار وعذابها، إلا الجهم بن صفوان، وأبا الهذيل العلاف»** (٤) ويذكر ابن قيم الجوزية أن ما ذهب إليه جهم بن صفوان ليس له فيه سلف قط من الصحابة، ولا من التابعين، ولا أحد من أئمة الإسلام، ولا قال به أحدٌ من أهل السنة (٥). ويعرض ابن حزم ما قاله أبو الهذيل من أن **«الجنة والنار لا يفنيان ولا يفنى أهلهما إلا أن حركاتهم تفنى ويبقون**

---

(١) نقلًا عن التذكرة للقرطبي جـ ٢ ص ٥٢٨ .
(٢) تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ٢٤٦ .
(٣) وانظر تنزيه القرآن عن المطاعن ص ١٨٤ .
(٤) الفصل لابن حزم جـ ٤ ص ٦٩، ٧٠ .
(٥) حادي الأرواح ص ٢٤٤، ٢٤٥ .

بمنزلة الجماد لا يتحركون، وهم في ذلك أحياء متلذذون أو معذبون» [١] وبيَّن ابن تيمية السبب الذي جعله يقول بذلك لأنه يعتقد امتناع وجود ما لا يتناهى [٢].

والذي ذهبَ إليه الجهمُ وأبو الهذيل لا سند له من كتاب ولا سنة. ثم ما الفرق بين الحركة والسكون؟ لأنه وإن فر من الحركات لاعتقاده امتناع وجود ما لا يتناهى، فإنه لازم له في مُدَدِ سكونِ أهل الجنة وتنعمهم. لأنه مقر بأنهم يبقون ساكنين منَعمَّينَ بالضرورة، فإن للسكون والنعيم مددًا تعد كما تعد الحركة وغيرها.

ولو كان ما قاله أبو الهذيل صحيحًا لكان أهل الجنة في عذاب دائم، وهذا غاية النكد والشقاء بعكس ما أعده الله لأهل الجنة [٣].. ولن نتوسع في هذه المسألة لعدة أسباب منها:

أولاً: أن القائلين بذلك خالفوا إجماع المسلمين، وليس معهم سندٌ كافٍ من كتاب الله أو سنةِ رسوله.

ثانيًا: أن المعتزلة أنفسهم لا يقولون بما قاله أبو الهذيل. بل إن بعض علماء المعتزلة قد كفره بسبب هذه المقالة. يذكر البغدادي في **«الفَرْق بين الفِرَق»** أن لجعفر بن حرب - وهو المشهور في زعماء المعتزلة - كتابًا سماه توبيخ أبي الهذيل، وذكر فيه أن قوله يجر إلى قول الدهريين. فمن فضائح أبي الهذيل قوله بفناء مقدورات الله عز وجل حتى لا يكون بعد فناء مقدوراته قادرًا على شيء. ولأجل هذا زعم أن نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار يفنيان ويبقى أهل الجنة خامدين لا يقدرون على شيء [٤].

---

(١) الفصل لابن حزم جـ ٤ ص ٦٩، ٧٠، والملل والنحل للشهرستاني جـ ١ ص ٥٨، والفرق بين الفرق للبغدادي ص ١٠٢، ١٠٣ .

(٢) نقلًا عن حادي الأرواح ص ٢٤٥ .

(٣) انظر الفصل لابن حزم جـ ٤ ص ٧٠، وحادي الأرواح ص ٢٤٦، ٢٤٧ .

(٤) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ١٠٢، ١٠٣ .

ويذكر البغدادي أيضًا أن المعروف من المعتزلة «بالمردار» رد على أبي الهذيل في هذه المسألة فقال: يلزمه إذا كان ولي الله عز وجل قد تناول بإحدى يديه الكأس وبالأخرى بعض التحف ثم حضرَ وقت السكون الدائم أن يظل ولي الله عز وجل على هيئة المصلوب» [١] وهذا ينافى النعيمَ المقيمَ الذي أعده الله لأوليائه ووعدهم به.

ثالثًا: يرى الخياط في كتابه الانتصار - وهو من أصول المعتزلة - أن أبا الهذيل لم يقل بفناء نعيم أهل الجنة. وإنما الذي قال بذلك هو جهمُ بن صفوان - وحكى ابن الراوندي مقالته على أنها مقالة أبي الهذيل.

يقول صاحب كتاب الانتصار: **«وأبو الهذيل كان يزعم أن أكل أهل الجنة وشربهم وجماعهم وتزاورهم وجميع لذاتهم باقية مجتمعة فيهم لا تفنى ولا تنقص ولا تزول ولا تبيد، وإنما الذي حكاه صاحب الكتاب «يقصد ابن الراوندي» قول جهم، لأن جهما كان يزعم أن الله يفنى الجنةَ والنارَ وما فيهما ويبقى وحده»** [٢].

وينفي الخياط هذه المقالة عن أبي الهذيل قائلًا: **«وهذا كذب على أبي الهذيل - يقصد القول بفناء نعيم الجنة - وهو عنده كفر بالله تعالى، لأن الله جل ذكره يقول ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَآ﴾ [الرعد: ٣٥] ويقول ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [المائدة: ١١٩]»** [٣] فإن كان ما ذكره الخياط صوابًا فنجزم بأن أحدًا لم يقل بفناء نعيم الجنة من المعتزلة. وإن كان دفاعًا عن أبي الهذيل، ونفيًا للتهم عنه؛ فإن جمهور المعتزلة قالوا بما قاله أهل السنة من بقاء الجنة ونعيمها وخلود أهلها.

* * *

(١) نفسه.

(٢) كتاب الانتصار ص ١٨ تأليف أبي الحسين بن عثمان الخياط المعتزلي المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٥٧ .

(٣) وانظر الانتصار للخياط ص ١٨ .

ب - النار في التصور الإسلامي:

النار هي الجزاء الذي أعده الله تعالى للكافرين، والمنافقين، والعصاة من الجن والإنس على السواء، وقد أكثر الله عز وجل من ذكرها في القرآن الكريم وذكر صفاتها وعذابِ أهلِها؛ حتى يتقي الناسُ عذابها ومهانة أهلها. وهناك جملة حقائق يذكرها القرآن الكريم والرسولُ ﷺ عن النار وعذابها منها:

انها مخلوقة الآن ومعدة لأهلها:

يقول الله تعالى ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة :٢٤] وهذه الآية وغيرها كثيرٌ في القرآن الكريم يدل على أن النار الموصوفة معدة للكافرين، ويدل على أنها مخلوقة، لأن قوله تعالى ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة :٢٤] صريح في أنها مخلوقة ومعدة الآن [١].

وينقل شارح المقاصد الإجماع على خلق الجنة والنار من جمهور المسلمين خلافًا للمعتزلة، ويستدل على أن النار مخلوقة ومعدة الآن بقوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة :٢٤]، وقوله: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ [الشعراء :٩١] والتعبيرُ عن المستقبل بلفظ الماضي لتحقق الوقوع كقوله تعالى ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ [الكهف :٩٩]، وقوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف :٤٤] خلاف الظاهر فلا يعدل إليه بدون قرينة [٢] ويفندُ شارح المقاصد حجة من تمسك بأنها لو كانت مخلوقة الآن لفنيت إذا أفنى الله العالم - أخذًا من قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] - بتخصيص النار من الهلاك، جمعا بين الأدلة التي تثبت خلق الجنة والنار والأدلة التي تثبت هلاك كل شيء [٣].

ويُستَدَل بالسنةِ على خلقِ النار بما رواه مسلم بسنده عن أبي هريرة قال:

(١) الرازي جـ ٢ ص ١٤١، ١٤٦ .
(٢) شرح المقاصد جـ ٢ ص ١٦١ .
(٣) شرح المقاصد جـ ٢ ص ١٦١.

قال رسول الله ﷺ: **«احتجت النار والجنة، فقالت هذه: يدخلني الجبارون والمتكبرون. وقالت هذه: يدخلني الضعفاءُ والمساكين. فقال الله عز وجل لهذه أنتِ عذابي أعذبُ بكِ من أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها»** (١).

وإن خلق النار وإعدادها هي والجنة كما صرح بذلك القرآن، وتواترت بذلك الأخبار عن رسول الله ﷺ وهو اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢).

أما من يذهب إلى أن النار لم تخلق بعد - وهم المعتزلة - فإن حجتهم في عدم خلق النار الآن وإعدادها هي نفس حجتهم في عدم خلق الجنة وقد عرضنا شبهتهم والرد عليها (٣) عند الكلام عن خلق الجنة وإعدادها الآن للمتقين.

سعة جهنم وبُعد مقرها:

يقول الله عز وجل ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف :٢٩].

ومعنى الآية أن الله عز وجل جعل للكفار نارًا هائلة وأحاط بهم سرادقها، وهو الحاجز الذي يكون حول الفسطاط، يحيط بهم من جميع الجوانب، فلا يستطيعون أن يتخلصوا منها؛ لأنها محيطة بهم من كل جانب (٤). ويوضح الرسول ﷺ سعتها وعظم قعرها، فيما يرويه مسلم عن أبي هريرة قال: كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة فقال النبي ﷺ: **«تدرون ما هذا؟»** قال: قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: **«هذا حجر رُمِيَ به في النار منذ سبعين خريفًا، فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها»** (٥). وهذا الحديث يدل على عمقها وبعْد قعرها.

---

(١) صحيح مسلم جـ ٢ ص ٥٣٦ .

(٢) النهاية في الفتن جـ ٢ ص ٣٩٣ .

(٣) لا مجال لتكرار شبهة المعتزلة في عدم خلق النار فقد عرضنا تفنيد شارح المقاصد والمواقف عليهم وأيضًا صاحب مطالع الأنظار عند الحديث عن خلق الجنة وإعدادها انظر ص ٢٢٢، ٢٢٤ .

(٤) التفسير الكبير للرازي جـ ٢١ ص ١٢٠ وروح المعاني للألوسي جـ ١٥ ص ٢٦٧، ٢٦٨ .

(٥) مسلم جـ ٢ ص ٥٣٥ .

obeikandl.com

وروى الإمام مسلم بسنده عن شقيق عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: **«يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»** (١).

وإذا كانت النار هكذا عظيمة فإن الله عز وجل يجعل أجساد أهلها كبيرة كذلك، حتى يذوقوا العذاب الأليم، وقد ذكر الله عز وجل أن جلودهم كلما نضجت بدلهم جلودًا غيرها يقول الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء :٥٦].

ويذكرُ رسول الله ﷺ أن مقعد الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام.

روى الترمذي بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ **«ضرس الكافر يوم القيامة مثل أُحُدٍ، وفخذه مثل البيضاء، ومقعده من النار مسيرة ثلاث مثل الربذة»** (٢) ومعنى الحديث أن الله يزيد في أعضاء الكافر زيادة في إيلامه وتعذيبه، والبيضاء اسم جبل، ومعنى مقعده أي مكان قعوده.

والربذة: مكان يبعد عن المدينة مسيرة ثلاث ليال (٣) ويؤيد هذا الحديث ما رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة مرفوعًا قال: **«ضرس الكافر مثل أحد، وفخذه مثل البيضاء، ومقعده من النار كما بين قديد ومكة، وكثافة جلده اثنان وأربعون ذراعًا بذراع الجبار»**.

قال المنذري: الجبار ملك باليمن له ذراع معروف (٤). وإخبار الرسول ﷺ بهذه الأشياء دلالة على العذاب الأليم والمهين الذي أعده الله لأهلها.

* * *

(١) مسلم جـ ٢ ص ٥٣٥ .
(٢) تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ٢٨٩، ٢٩٩ .
(٣) نفسه ص ٢٩٩ .
(٤) نفسه ص ٢٩٩ .

أبواب جهنم وخزنتها:

ورد في القرآن الكريم عدد أبواب جهنم، يقول الله تعالى ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر :٤٣-٤٤] ويقول عز وجل ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر :٧٢] وحمل بعض العلماء بعض صفات جهنم على أنها أبواب لها، مثل لظى، والحطمة، والجحيم. والسعير، وسقر. يقول القرطبي ذُكِرَ عن بعض أهل العلم في قول الله تعالى ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر :٤٤] أبي من الكفار والمنافقين والشياطين، وبين الباب والباب خمسمائة عام.

والباب الأول: يسمى جهنم؛ لأنه يتجهم في وجه الرجال والنساء فيأكل لحومهم.

والباب الثاني: يُقال له لظى نزاعةً للشوى تدعو من أدبر وتولى عن التوحيد.

والباب الثالث: يقال له سقر لا يبقى ولا يذر من جسم الكافر شيئًا.

والباب الرابع: يقال له الحطمة، وهي تحطم العظام وتحرقُ الأفئدة. وهي ترمي بشرر كالقصر كأنه جمالات صفر.

والباب الخامس: يقال له الجحيم.

والباب السادس: يقال له السعير، وإنما سمي السعير؛ لأنه يسعر بهم، وفيه جُب الحزن الذي تستعيذ الخلائق من حره.

الباب السابع: يقال له الهاوية: من وقع فيه لم يخرج منه أبدا [(١)].

وأما عن خزنة جهنم فإن القرآن الكريم أشار إليهم بقوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ

(١) التذكرة للقرطبي جـ ٢ ص ٤٦٣، ٤٦٤، ويقظة أولى الاعتبار ص ١٢٣، ١٢٤ .

﴿هَٰذَآ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر :٧١].

وذهب معظم المفسرين إلى أن التسعة عشر هم خزنة جهنم. وحكى الواحدي عن المفسرين أن خزنة جهنم تسعة عشر: مالك ومعه ثمانية عشر، أعينهم كالبرق، وأنيابهم كالصياصي، وأشعارهم تمس أقدامهم، يخرجُ لهبُ النارِ من أثوابهم، ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة، يسع كف أحدهِم مثل ربيعة ومضر، نُزعَتْ منهم الرأفة والرحمة، يأخذ أحدُهم سبعين ألفا في كفه ويرميهم حيث أراد من جهنم [١].

وينقل ابن كثير أثرًا مرويًّا عن رسول الله ﷺ: أن رهطًا من اليهود سألوا رجلًا من أصحاب رسول الله ﷺ عن خزنة جهنم فقال: الله ورسوله أعلم. فجاء رجل فأخبر النبي ﷺ، فأنزل الله ساعتئذ ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر :٣٠] فأخبر أصحابه [٢]. وما أخبر الله عز وجل من جعل عدتهم فتنة للذين كفروا؛ لأن الكفار حين سمعوا أن خزنة النار تسعة عشر قال أبو جهل: يا معشر قريش أما يستطيع كل عشرةٍ منكم لواحدٍ منهم فتغلبونهم وقال أبو الأشد بن أسيد بن كلدة وكان شديد البطش، أنا أكفيكم سبعة عشر واكفوني أنتم اثنين. فلما سمع المسلمون ذلك قالوا للكفار: ويحكم لا تقاس الملائكة بالسجانين والحداد [٣].

وأما ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف :٧٧]. فإنه نداء لواحد وليس لمجموع الخزنة، ووجه الجمع بين عليها تسعة عشر وبين نداء أهل النار لمالك - فقط - أن مالكًا هو رئيس الخزنة، وهم ثمانية عشر، وهو التاسع عشر لهم. وفي ندائهم طلبوُ للراحة بالموت، فلما سألوا أن يموتوا أجابهم مالك ﴿قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف :٧٧] قال ابن عباس: مكث

(١) الرازي جـ ٣٠ ص ٣٠٣ .
(٢) مختصر تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٥٧٠، ٥٧١ .
(٣) الفخر الرازي جـ ٣٠ ص ٢٠٣، ٢٠٤، ومختصر ابن كثير ص ٥٧١ .

ألف سنة ثم قال لهم ذلك. أي لا خروج لكم منها ولا محيد لكم عنها [١].

دركات جهنم:

يقول الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء :١٤٥] هذه الآية تدل على أن النار دركات سبعة، أي طبقات. كما أن الجنة درجات، ويقال للنار دركات، وللجنة درجات؛ لأن العرب تستعمل لكل ما سفل درك وكل ما علا وارتفع درج [٢]. وقد ذكر العلماء الطائفة المختصة بكل دركٍ من أدراكِ النار، قالوا: الأعلى لعصاةِ المسلمين، والثاني للنصارى، والثالث لليهود، والرابع للصابئة، والخامس للمجوس، والسادس للمشركين, والسابع للمنافقين. ويعلق القرطبي على هذه التحديدات بقوله: «**وقع في كتاب الزهد والرقائق أسماء هذه الطبقات وأسماء أهلها من أهل الأديان على ترتيب لم يرد في أثر صحيح**» [٣] والأولى التفويض والتحديد لله رب العالمين، ما دام لم يذكر القرآن الكريم شيئًا عن تحديد دركاتها وأهلها، ولم يحدث الرسول ﷺ عن شيء من هذا.

صفة النار ووقودها:

يصف القرآن الكريم النار بصفات رهيبة مُخَوِّفَة، منها أنها نارٌ تلظى.

يقول الله عز وجل: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [الليل :١٤-١٦] ومعنى تلظى أي توهج كما قال مجاهد [٤]. وهي نار موقدة، يقول الله تعالى ﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾ [الهمزة :٤-٦] وإضافة النار هنا لله للتفخيم، أي هي نار لا كالنيران،

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٢٩٦، ٢٩٧ .

(٢) التذكرة للقرطبي جـ٢ ص ٤٦١.

(٣) نفسه.

(٤) ابن كثير جـ ٤ ص ٥٢٠ .

ولذلك فهي لا تخمد أبدا؛ لأنها موقدة بأمر الله وقدرته [١]. ويذكر الرسول ﷺ أنها أوقد عليها ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة [٢]. بل ويذكر رسول الله ﷺ أن نار الدنيا جزءٌ من سبعين جزءًا من حر جهنم. روى الترمذي بسنده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **«ناركم هذه التي يوقد بنو آدم جزءٌ واحدٌ من سبعين جزءًا من حر جهنم»** قالوا: والله إن كانت كافية يا رسول الله. قال: **«فإنها فضلت بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها»** [٣]. والمراد من الجمع هنا المبالغة في الكثرة لا العدد الخاص. ومعنى أنها لكافية أن نار الدنيا كافية في الآخرة لتعذيب أهل النار، ولكن الرسول ﷺ قال: **«ولكنها فضلت على نيران الدنيا كلهن»** أي حرارة كل جزء من تسعة وستين جزءا من نار جهنم. مثل حرها أي مثل حرارة ناركم في الدنيا [٤].

وهي نار حامية يقول تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ [القارعة :٨-١١] يقول أبو السعود: الهاوية من أسماء النار سميت بها لغاية عمقها وبعد مهواها. والنار الحامية دليل على أن سائر النيران بالنسبة إليها كأنها ليست حامية، وهذا القدر كاف في التنبيه على قوة سخونتها [٥].

وهذه أوصافٌ كلها تبين شدة العذاب الذي يتعذب به أهل النار يوم القيامة. أما عن وقودها، فإن القرآن الكريم يذكر أنها توقد بالناس والحجارة يقول الله عز وجل ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة :٢٤] ويقول تعالى عن المشركين ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن

(١) الفخر الرازي جـ ٣٢ ص ٩٤ .
(٢) رواه الترمذي عن أبي هريرة تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ٣١٦ .
(٣) تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ٣١٤، ٣١٥ .
(٤) تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ٣١٤، ٣١٥ .
(٥) انظر: أبو السعود جـ ٤ ص ٨٩٩، والفخر الرازي جـ ٣٢ ص ٧٤ .

دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء :٩٨] ويحذر المؤمنين من النار وعذابها يقول تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم :٦] ومعنى وقودها الناس والحجارة أنها نار ممتازة عن سائر النيران بأنها لا تتقد إلا بالناس والحجارة, وهي لإفراط حرها تتقد بالحجارة، وقرن الله عز وجل الناس بالحجارة لأنهم قرنوا أنفسهم بها في الدنيا، حيث نحتوها أصنامًا وجعلوها لله أندادًا وعبدوها من دون الله، فيكونون حطبًا للنار، وهو ما تذكى به، فيكونون وقودًا للنار ومعذبين بها في الوقت نفسه [١] ومعنى آخر تحتمله الآية وهو أن الناس في النار كالحجارة في مهانتها وفي رخصها وفي القذف بها دون اعتبار ولا عناية. يقول الأستاذ سيد قطب: **«وما أفظعها نارا هذه التي توقد بالحجارة! وما أشد عذابها هذا الذي يجمع إلى شدة اللذع المهانة والحقارة! وكل ما بها وما يلامسها فظيع رهيب»** [٢].

أصناف العذاب لأهلها

ثياب أهل النار وسلاسلهم:

يقول الله تعالى ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الحج :١٩-٢٢] ومعنى قطعت لهم ثيابٌ من نار: أي فُصِّلَتْ لهم مقطعات من النار، وعن سعيد بن جبير: هو النحاس، وهو من أشد الأشياء حرارة إذا حمى، ويصب من فوق رءوسهم الحميم، وهو المائ الحار في غاية الحرارة گ يذيب ما في بطونهم من الفم والأمعاء، ومع كل هذا يُضْرَبُون بمقامعَ من حديدٍ، كلما أرادوا الخروج

(١) الرازي جـ ٢ ص ١٤٠، ١٤٢، والتذكرة للقرطبي جـ ٢ ص ٤٩٢ .
(٢) في ظلال القرآن جـ ٦ ص ٨، ٣٦ .

منها من غم أعيدوا فيها، وعن الفضيل بن عياض: «**والله ما طمعوا في الخروج، إن الأرجل لمقيدة وإن الأيدي لموثقة، ولكن يرفعهم لهبها وتردهم مقامعها**» (١).

وعن سلاسل وأغلال أهل النار قال الله تعالى عمَّن أوتي كتابه بشماله: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٠-٣٢].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ [المزمل :١٢-١٣] والسلسلة التي يُسْلَكُ فيها من لا يؤمن بالله العظيم، هذه السلسلة عظيمة القدر، وهذا ما جعل بعض المفسرين يحمل العدد فيها على الوصف بالطول البعيد، ولا لغرض التقدير بهذا المقدار.

وعن ابن عباس: تدخل السلسلة من دبره، وتخرج من حلقه، ثم يجمع بين ناصيته وقدميه، وتقديم السلسلة على السلك معناه التهويل والتفظيع من شأنها، كأنه قال: لا تسلكوه إلا في هذه السلسلة، لأنها أفظع من سائر السلاسل (٢).

وروى الترمذي بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو أن رصاصة مثل هذه**» وأشار إلى مثل الجمجمة «**أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفًا الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها أو قعرها**» (٣) وهذا يؤيد أن العددَ المذكور في السلسلة للكثرة (٤) لا العدد فقط.

وعن أُبَيِّ بْن كَعْب قال: «**إن حلقة من السلسلة التي قال الله ﴿ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ [الحاقة :٣٢] إن حلقةً منها مثل جميع حديد الدنيا**» (٥) والأنكال المذكورة في قوله تعالى ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا﴾ [المزمل :١٢] هي القيود وَاحِدُهُ نكل وهو

(١) ابن كثير جـ ٣ ص ٢١٢، ٢١٣ .
(٢) الرازي جـ ٣٠ ص ١١٤، ١١٥ .
(٣) تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ٣١٣، ٣١٤، والرازي جـ ٣٠ ص ١١٤ .
(٤) نفسه ص ٣١٤، والرازي جـ ٣٠ ص ١١٤ .
(٥) التذكرة للقرطبي جـ ٢ ص ٤٨٢ .

القيد الثقيل [١].

طعام أهل النار وشرابهم:

يتحدث القرآن الكريم عن طعام أهل النار فيذكر أن الزقوم هو طعامهم.

يقول الله تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [الصافات :٦٢-٦٧] ويقول عز وجل ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان :٤٣-٤٩]. ويقول سبحانه وتعالى ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾ [الواقعة :٥١-٥٥]. ويقول سبحانه وتعالى ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ [النبأ :٢٤-٢٥] ويقول تعالى ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ﴾ [الغاشية :٦-٧] وهذه الآيات تقرر أن طعام أهل النار الزقوم والضريع. يقول القرطبي: **«إن شجرة الزقوم أصلها في الباب السادس، وإنها تحيا بلهب النار كما تحيا الشجرة ببرد الماء، فلا بد لأهل النار من أن ينحدر إليها من كان فوقها فيأكلون منها»** [٢].

ويصف الرسولُ ﷺ الزقوم بقوله: **«لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه»** [٣].

والضريعُ الذي جعلهُ الله لهُمْ طعامًا، نوع من الشوك اللاطئ بالأرض، ترعاه

---

(١) الرازي جـ ٣٠ ص ١٨١، والكشاف للزمخشري جـ ٤ ص ١٦٨ .

(٢) التذكرة للقرطبي جـ ٢ ص ٥٠٣ .

(٣) رواه الترمذي جـ ٧ ص ٣٠٧ .

الإبل وهو أخضر، ويسمى الشبرق، فإذا جنى صار اسمه الضريع ولم تستطع الإبل مذاقه فهو عندئذ سام [١].

وأما شراب الحميم فإن رسول الله ﷺ يقول عنه: «**إن الحميم ليصب على رؤوسهم، فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه، فيسلت ما في جوفه حتى يمرقه من قدميه، وهو الصهر، ثم يعاد كما كان**» [٢] ومعنى يسلت ما في جوفه أي يقطع ويمسح، من سلت القصعة إذا مسحها من الطعام. وهو المشار إليه في قوله تعالى ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾ [الحج :٢٠] والغسَّاق الذي يشرب منه أهل النار هو ما يسيل من صديد أهلِ النار وغسالتهم. وقيل ما يسيل من دموعهم، وقال عنه النبي ﷺ فيما يرويه الترمذي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «**لو أن دلوا من غساق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا**» [٣] والغساق هو المشار إليه في قوله تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ [النبأ :٢٤-٢٥].

وفي قوله تعالى ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ [ص :٥٧]. عن ابن عباس الغساق: صديدُ أهل النار [٤]. وعن ابن عمر في معنى الغساق: لو أن قطرة منه تهراق في المغرب لأنتنت أهل المشرق، وقيل الغساق الذي لا يستطاع من شدة برده وهو الزمهرير [٥].

أكثر أهل النار:

وردت أحاديث تفيد أن أكثر أهل النار من النساء، وذلك لنقصان عقلهن ودينهن. روى البخاري بسنده عن عمران عن النبي ﷺ قال: «**اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء**» [٦].

وإنما كان أكثر أهل النار النساء لما يغلب عليهن من الهوى والميل إلى الدنيا

(١) في ظلال القرآن جـ ٦ ص ٣٨٦٩ .
(٢) تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ٣٠٢، ٣٠٣ .
(٣) تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ٣٠٦ .
(٤) تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ٣٠٦ .
(٥) يقظة أولى الاعتبار.
(٦) فتح الباري جـ ١١ ص ٣٥٠، ٣٥١ .

obeikandl.com

والإعراض عن الآخرة، لنقص عقلهن وسرعة انخداعهن [١].

وروى مسلم بسنده عن حارثة بن وهب أنه سمع النبي ﷺ قال: «**ألا أخبركم بأهل النار؟ قالوا: بلى. قال: كل عتلٍ جَوَّاظٍ مستكبرٍ**» [٢].

وروى مسلمٌ أيضًا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**تحاجت النار والجنة. فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين**» [٣] ومعلوم أن الله عز وجل ينادي النار قائلًا: هل امتلأت؟ فتُرِيْدُ المزيد.

يقول الله عز وجل ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠] وهذه الآية بيان لقول الله تعالى ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجده: ١٣].

يقول الرازي: قول الله تعالى ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠] فيه وجهان:

الأول: أنه لبيان استكثارها الداخلين، كما أن من يضرب غيره ضربًا مبرحًا أو يشتمه شتمًا قبيحًا يقول المضروب: هل بقى شيء آخر، ويدل عليه قوله لأملأن؛ لأن الامتلاء لا بد أن يحصل فلا يبقى في جهنم موضعٌ خالٍ حتى تطلبَ المزيدَ.

الثاني: هو أنها تطلب الزيادة. ولو قال قائل: كيف يفهم هذا مع قوله تعالى لأملأن؟ فقد أجاب الرازي على ذلك من وجوه.

أحدها: أن كلام جهنم هل من مزيد قبل أن تملأ، وفيه أن جهنم تتغيظ على الكفار فتطلبهم، ثم يبقى فيها موضع لعصاة المؤمنين، فتطلب جهنم امتلاءها لظنها بقاء أحدٍ من الكفار خارجًا.

ثانيها: أن تطلب جهنم أولًا سعة في نفسها، ثم مزيدًا في الداخلين. لظنها بقاء أحدٍ من الكفار.

---

(١) مسلم جـ ٢ ص ٥٣٨ .

(٢) نفسه.

(٣) صحيح مسلم جـ ٤ ص ١٢٨٦ ط. الحلبي.

ثالثها: أن الملء له درجات، فإن الكيل إذا ملئ من غير كبس صح أن يقال: ملئ وامتلأ فإذا كبس يسع غيره. فكذلك جهنم ملأها الله تنفيذًا لوعده ثم تطلب زيادة تضييقًا للمكان عليهم وزيادة في التعذيب» [١].

والرأي الثالث هو الذي تستريح إليه النفس فإنها تملأ أولا ثم تطلب المزيد؛ لتضيّق على الكفار مكانَهم فيزدادون ألمًا وعذابًا مع عذابهم. وهذا يتناسب مع قوله تعالى ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان :١٢-١٣].

وقد ورد في صحيح مسلم أن النار لن تمتلئ حتى يضع الجبار قدمه عليها فتقول قط قط فهناك تمتلئ ويزوي بعضها إلى بعض [٢].

خلود الكفار فيها أبدًا:

يفرق القرآن الكريم والسنة النبوية بين صنفين من أهل النار:

الصنف الأول: هم الكفار الذين ماتوا على كفرهم، وهؤلاء مخلدون في النار أبدًا، لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها، وهم الذين قال الله عنهم ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء :٥٦]، وقال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر :٣٦] ولا خلاف بين المسلمين في خلود الكفار في نار جهنم أبدًا، يقول شارح المقاصد «**أجمع المسلمون على خلود الكفار في النار**» [٣].

وعن التأبيد والخلود في النار يقول الله تعالى ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣]. ويقول الله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ

(١) الفخر الرازي جـ ٢٨ ص ١٧٤ .
(٢) الحديث في صحيح مسلم جـ ٢ ص ٥٣٦ .
(٣) المقاصد للسعد جـ ٢ ص ١٦٧ .

ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب :٦٤-٦٥]. ويقول تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء :١٦٨-١٦٩].

يقول ابن كثير بعد أن أورد الآيات الثلاث السابقة: **«فهذه ثلاث آيات فيهن الحكم عليهم بالخلود أبدًا، ليس لهن رابعة مثلهن في ذلك»** [(١)].

والصنف الأول كما قلت لا خلاف بين العلماء فيه إنما الخلاف في الصنف الثاني.

الصنف الثاني: عصاة المؤمنين، وقد اختلف المسلمون فيمن مات مرتكبًا كبيرة ولم يتب عنها.

أولاً: الأشاعرة: يرى علماء الأشاعرة أن من مات من المسلمين مرتكبًا كبيرة ولم يتب عنها فهو في مشيئة الله إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه، وهم لا يقطعون بالعفو ولا بالعقاب، ولكنهم يقطعون بعدم الخلود في النار على فرض العقاب. ويستدل علماء الأشاعرة بالآيات والأحاديث الدالة على أن المؤمنين يدخلون الجنة بعد أخذ نصيبهم من النار ثم الخروج منها للجنة، وهناك آيات كثيرة يستدلُّ بها الأشاعرة على ذلك منها قوله تعالى ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة :٧-٨].

وقوله تعالى ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر :٤٠] وقوله تعالى ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمٰن :٦٠] ومعلومٌ أن صاحب الكبيرة بإيمانه وسائر ما يكون له من الحسنات مستحق للثواب[(٢)] على أصول المعتزلة - على طريقة

---

(١) النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير جـ ٢ ص ٢٥٨ .

(٢) شرح المواقف جـ ٢ ص ٤٤٧ .

مجاراة الخصم من شارح المواقف - ويستدل الأشاعرة أيضًا بالأحاديث الدالة على أن من قال لا إله إلا الله دخل الجنة. روى الإمام مسلم بسنده عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه وأن الجنة حقٌّ وأن النارَ حقٌّ أدخله الله من أي أبوابِ الجنةِ الثمانية شاء**» (١).

ومثل قوله ﷺ: «**من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة وإن زنى وإن سرق**» ويستدل الأشاعرة أيضًا بالنصوص المشعرة بالخروج من النار، مثل قوله تعالى ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران :١٨٥] وقوله تعالى ﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام :١٢٨].

ومثل قوله ﷺ فيما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «**يدخل الله أهل الجنة الجنة، يدخل من يشاء برحمته، ويدخل أهل النار النار، ثم يقول: انظروا من وجدتم في قلبه مثقالَ حبة من خردلٍ من إيمان فأخرجوه. فيخرجون منها حممًا قد امتحشوا، فيلقون في نهر الحياة أو الحيا فينبتون فيه كما تنبت الحبة إلى جانب السيل، ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية**» (٢).

ويعلق شارح المقاصد على هذه الأحاديث بقوله: «**وخبر الواحد وإن لم يكن حجة في الأصول. ولكن يفيد التأييد والتأكيد بتعاضد النصوص**»(٣).

ومما يستدل به الأشاعرة الإلزام على طريقة المعتزلة، ذلك أنه لو أن إنسانًا عبد الله مائة عام وواظب على الإيمان والعمل الصالح، وصدر عنه في أثناء ذلك أو بعده جريمة كشرب الخمر. فلا يحسن من الحكيم أن يعذبه على ذلك أبد الآبدين. ومن وجوه الاستدلال أن المعصية متناهية زمانًا وقدرًا وأما الكفر فغير متناهٍ، والخلود في النار عذابٌ على أشد الجنايات وهو الكفر، فيجب أن تتميز

(١) رواه الإمام مسلم جـ ١ ص ٣٣ .
(٢) صحيح مسلم جـ ١ ص ٩٥ .
(٣) شرح المقاصد جـ ٢ ص ١٦٨ .

التي هي دون الكفر بالخروج من النار [١].

ثانيًا المعتزلة: يرى المعتزلة أن الفاسقَ مخلدٌ في النار ويعذبُ فيها أبدَ الآبدين ودهر الداهرين [٢] ويستدلون على ذلك بقوله تعالى ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا﴾ [النساء :١٤] وتقرير الدليل عندهم أن الله تعالى أخبر أن العصاة يعذبون بالنار ويخلدون فيها، والعاصي اسم يتناول الفاسق والكافر جميعًا، فيجب عليهما، ولو أراد أحدهما دون الآخر لبينه [٣]. ويفند شارح المقاصد حجتهم في هذه الآية؛ بأن العموم غير مراد في الآية للقطع بخروج التائب وأصحاب الصغائر وصاحب الكبيرة من النار [٤].

ويستدلون أيضًا بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣] وهذه الآية استدل جمهور المعتزلة بها على أن فساق أهل الصلاة مخلدون في النار، وأن هذا العموم يشملهم كشموله الكفار ما داموا لم يتوبوا، وقالوا إن هذا العموم أقوى في الدلالة على المطلوب من سائر العمومات؛ لأن سائر العمومات ما جاء فيها لفظ أبدا. ويجيب الرازي على ما تعلق به المعتزلة من وجوه.

أحدهما: أن تخصيص العموم بالواقعة التي لأجلها ورد ذلك العموم عرف مشهور، فإن المرأة إذا أرادت أن تخرج من الدار ساعة فقال الزوج إن خرجت فأنت طالق فإن اليمين يقيد بتلك الساعة، حتى أنها لو خرجت في يوم آخر لم تطلق.

فهنا أجرى الحديث في التبليغ عن الله تعالى: ثم بعد ذلك قال: ومن يعص الله

---

(١) انظر شرح المقاصد جـ ٢ ص ١٦٧، ١٦٨، وشرح المواقف جـ ٢ ص ٤٤٦ ، ٤٤٧ .
(٢) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٦٦٦ .
(٣) نفسه ص ٦٥٧ .
(٤) شرح المقاصد جـ ٢ ص ١٦٨ .

ورسوله، أي من يعص الله في تبليغ رسالاته وأداء وحيه فإن له نار جهنم خالدًا فيها أبدًا.

ثانيًا: أن معنى «**يعص الله ورسوله**» لا بد وأن يعصيه في سائر الذنوب وبجميع أنواع المعاصي، والذي يفعل ذلك هو الكافر، فالآية مختصة بالكافر على هذا التقدير (١).

ومما يستدل به المعتزلة قوله تعالى ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا﴾ [النساء :٩٣].

ويرد الأشاعرة على ذلك بأن المراد بالخلود المكث الطويل، وعلى فرض أنه الخلود الدائم فيكون المراد من القتل على وجه الاستحلال، أو بأن الوصف بالإيمان يكون خاصًا بمن قتل المؤمن لإيمانه(٢).

وبعد عرضنا لأدلة الأشاعرة والمعتزلة نرجح ما ذهب إليه الأشاعرة، من عدم الخلود في النار لعصاة المؤمنين الذين ارتكبوا بعض الذنوب أو حتى الكبائر ولم يتوبوا، وذلك لأن الله تعالى يغفر الذنوب جميعًا ما عدا الشرك بالله.

يقول الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء :٤٨] ولدلالة الآيات القرآنية على أن من آمن وعمل صالحًا سيدخل الجنة، وأن آيات الوعد مؤكدة، وأما آيات الوعيد فغير مؤكدة.

يقول الله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء :١٢٢] فقوله وعد الله حقًّا إنما ذكره للتأكيد، ولم يقل في شيء من القرآن وعيد الله حقًّا، وأما قوله تعالى ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق :٢٩].

---

(١) الفخر الرازي جـ ٣٠ ص ١٦٥ ، ١٦٦ .

(٢) شرح المقاصد جـ ٢ ص ١٦٨، شرح المواقف جـ ٢ ص ٤٤٧ .

فهذه الآية بإجماع المفسرين في حق الكفار[١].

والأحاديث كثيرة تلك التي تثبت الشفاعة لعصاة المؤمنين فيخرجون من النار روى الإمام أحمد بسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»** [٢].

ثانيًا: الجنة والنار عند النصارى

أ- الجنة عند النصارى:

ورد في قاموس الكتاب المقدس تحت كلمة جنة: أنه الفردوس الأصلي الذي ربته الله للإنسان قبل سقوطه [٣]، ووضع في وسطه شجرة الحياة، وأطلقت الكلمة على كل بستان في قصور الملوك [٤]. ووردت أيضًا تحت كلمة جنات: أنها بساتين معدة للانشراح واللذات، وفيها جنات الملك سليمان [٥]، وفيها سواقي وينابيع [٦].

ونلاحظ أن قاموس الكتاب المقدس ربط شجرة الجنة بالبستان الذي يملكه الملوك وهي معدة للانشراح واللذات، وفيها جنات الملك سليمان وفيها سواقي وينابيع. كل هذه الصفات تطلق على البساتين في الأرض، ولكن قاموس الكتاب المقدس لم يشرْ من قريب أو بعيدٍ على أنها المكان الذي يتمتع فيه الصالحون من النصارى في الآخرة.

وبالرغم من عدم إشارة النصارى إلى الجنة ونعيمها الحسى في الآخرة إلا أننا سنعرض فيما يلي بعض النصوص التي تتحدث عن الجزاء في الآخرة، المتمثل في

---

(١) الأربعين في أصول الدين للرازي ص ٤٠١ .
(٢) مسند الإمام أحمد جـ ٣ ص ٢١٣ .
(٣) سفر التكوين ٢: ١٠: ١٣: ١٠ .
(٤) قاموس الكتاب المقدس ص ٢٧٥ .
(٥) سفر الجامعة ٢: ٥، ونشيد الإنشاد ٤: ١٣ .
(٦) سفر العدد ٦/٢٤، وقاموس الكتاب المقدس ص ٢٣٦ .

الطعام والشراب والنكاح في الجنة [١] وبالرغم من ادعاء النصارى بأن نعيم الأبرار يتمثل في «اتصالهم بالله ورؤيتهم جلاله، ورؤية الله هي الخير الأعظم الفائق كل خير، الذي يملأ رغبة كل إنسان ويشبع شهوات نفسه، بل هي سعادته النهائية المشتهاة من كل مشاعره والتي تتجه كل أشواق قلبه إليه» [٢].

فعن الطعام والشراب:

ورد في إنجيل يوحنا ما نصه: «اعملوا لا للطعام البائِد بل للطعام الباقي للحياة الأبدية الذي يعطيكم ابن الإنسان، لأن الله الآب قد ختمه» [٣].

وورد فيه أيضًا قولهم للمسيح: «آباؤنا أكلوا المنَّ في البرية، كما هو مكتوب أنه أعطاهم خبزًا من السماء ليأكلوا. فقال لهم يسوع: الحق الحق أقول لكم، ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء، بل أبي يعطيكم الخبز الحقيقي من السماء» [٤].

فهذه النصوص تبين أن في الآخرة طعامًا باقيًا يعطيه المسيح للمؤمنين به.

والنص الثاني يبرز على لسان المسيح أن هناك خبزًا فانيًا أكله آباء من يتحدث معهم المسيح، ولكن من يطيعه ويؤمن به يأكل الخبز الحقيقي عند الله. ووعد المسيح لهم بالطعام في الآخرة مكافأة لهم بيَّن كيف أن الإنجيل تحدث عن الطعام في الجنة. وهناك نص آخر في إنجيل لوقا يثبت الطعام والشراب في الآخرة. ورد في لوقا: «وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتا لتأكلوا وتشربوا على مائدتي، وتجلسوا على كراسي، تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر» [٥].

والنصارى تعتقد أن هذا الملكوت في الآخرة، وأن الدينونة بعد انقضاء

---

(١) سنعرض هنا النصوص من الكتاب المقدس التي تثبت الجزاء المعد للصالحين من النصارى في الآخرة. ونترك مناقشة حسية هذه النصوص أو معنويتها للفصل الذي نتحدث فيه عن حسية النعيم والعذاب وروحانيتهما بين المسلمين والنصارى واليهود.

(٢) علم اللاهوت جـ ٢ ص ١٦٤ .

(٣) إنجيل يوحنا ٦: ٢٧/٢٨ .

(٤) إنجيل يوحنا ٦: ٣١/٣٢ .

(٥) إنجيل لوقا ٢٢-٢٩/٣٠ .

العالم [١]. والنص يثبت أن هناك طعامًا وشرابًا على مائدة المسيح للذين يؤمنون به.

وعن الشراب:

ورد في إنجيل متى: **«وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً: اشربوا منها كلكم، لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد، الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا، وأقول لكم: إني من الآن لا أشربُ من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم الذي أشربه معكم جديدًا في ملكوت أبي»** [٢].

وهذا نص صريح في أن المسيح وعد تلاميذه أنه سيشرب معهم خمرًا من نتاج الكرمة في الآخرة، وهذا النص يبين أن في الجنة شربًا للخمر - كما صرح المسيح بذلك على ما في إنجيل متى الحالي.

وأيضًا نص لوقا **«وتشربوا على مائدتي في ملكوتي»** [٣] نص صريح أيضًا على أن هناك شرابًا في الجنة.

النكاح:

ومن بين ثنايا نصوص الأناجيل نستخرج بعض النصوص التي تثبت الزواج في الجنة، وملكية الصالح في الآخرة لأشياء كثيرة من البيوت والحقول.

ورد في متى: **«كل من ترك بيوتًا أو إخوة أو أخوات أو أبا أو أما أو امرأة أو أولادا أو حقولا من أجل اسمي يأخذ مائة ضعف، ويرث الحياة الأبدية»** [٤].

وهذا نص صريح في أن نعيم الآخرة يشبه نعيم الجنة مع الاختلاف، وكان المسيح يرغبهم في ما عند الله، بأن من ترك منهم في الدنيا بيوتا فله بدلًا منها مائة ضعف، وله حياة أبدية، والمئة ضعف والحياة الأبدية لا تكون إلا في الجنة.

---

(١) انظر الكنز الجليل جـ ١ ص ٤٦٤، جـ ٢ ص ٣٤٦ .

(٢) إنجيل متى ٢٦-٢٧/٣٠ .

(٣) لوقا ٢٢- ٢٩ .

(٤) إنجيل متى ١٩: ٢٩ .

وأيضًا من ترك حقولًا في الدنيا فله بدلا منها مائة ضعف، ومن ترك زوجة، فله مائة زوجة - بنص الأناجيل مائة ضعف - وله الحياة الأبدية.

وكما ترى فإن النص صريح في النكاح والملكية في الآخرة، بالرغم من أن إنجيل متى يصرح بأنه لا زواج يوم القيامة يقول: **«لأنهم في القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون، بل يكونون كملائكة الله في السماء»** (١).

هذه النصوص التي تتحدث عن الطعام والشراب والقصور والزواج في الآخرة يؤولها النصارى إلى مجازات أخرى غير كونها حقيقة حسية في الآخرة. وسنتعرض لأرائهم بالتفصيل عند الحديث عن روحانية النعيم وحسيته وكذا العذاب.

وعن كون الجنة مخلوقة ومعدة:

ورد في إنجيل متى: **«ثم يقول الملكُ للذين عن يمينه: تعالوا يا مباركي أبي، رثوا لملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم»** (٢) وهذا النص يوضح أن الجنة - التي يطلق عليها النصارى أحيانًا اسم الملكوت - معدة منذ خلْق الدنيا، ويدعوه المسيح ليرثوها - جزاءً على أعمالهم - ويعتقد النصارى أن النفوس الصالحة في الفردوس الآن مع المسيح ورد في أعمال الرسل قول بولس: **«لي اشتهاء أن انطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جدًا»** (٣) ونفس المعنى ورد في رسالة كورنثوس الثانية **«وَنُسَرّ بالأولى أن نتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب»** (٤).

إذا كنا قد عرضنا بعض النصوص التي تثبت النعيم الحسى في الجنة في الطعام والشراب والنكاح، فإن هذه النصوص وإن كانت ثابتة في الأناجيل إلا أن النصارى يؤولونها وعندهم أن النعيم المقيم يتمثل في الحياة الأبدية، وهذه الحياة

---

(١) متى ٢٢: ٣٠ .

(٢) متى ٢٥: ٣٤ .

(٣) أعمال الرسل ٢٠ - ٢٥ .

(٤) كورنثوس الثانية ٥: ١/١٠ .

في تصورهم «مصرحٌ بها في الكتاب في غاية الوضوح فقيل والأبرار إلى حياة أبدية [١]**، ولكي لا يهلك كل من يؤمن تكون له الحياة الأبدية** [٢]**، وهذه الحياة الأبدية تكون بالمسيح كما يزعمون «لأن أجرة الخطيئة هي موت، وأما هبة الله فهي حياة أبدية بالمسيح ربنا يسوع»** [٣]، ويعتقدون أيضًا أن النعيم الكامل الذي لا شيء سواه في الجنة يكون برؤية وجه الله الكريم؛ لأن التمتع بمشاهدته تملأ النفوس سعادة وهناء وغبطة، فتبقى مسحورة ببهائه الرائع لا ترتوي مدى الأبدية [٤].

مصير الأطفال الذين يموتون صغارًا

يشير علماء النصرانية إلى مصير الأطفال الذين يموتون قبل أن يُنَصَّروا بالتعميد إشارات عابرة. فقد ورد في علم اللاهوت النظامي - وهو يمثل فرقة البروتستانت - أن **«جميع الأطفال الذين يموتون قبل سن التكليف والبُلْه أيضًا - أي الخارجين عن دائرة المسئولية الأدبية - ينالون الخلاص بالنعيم بالمسيح، بتخصيص فوائد كفارته به، فيتجددون ويدخلون في حال الخلاص حالاً بعد الموت** [٥].

وإذا كان البروتستانت قد قطعوا بالخلاص بالنسبة للأطفال الصغار والبُلْه الذين لم يدركوا شيئًا، فإن الأرثوذكس يرون أن هناك اختلافًا بين العلماء في مصيرهم، ففريق من اللاهوتيين رأي **«أنهم يكونون في حال متوسط بين الراحة، أي أنهم لا يعذبون، لأنهم لم يفعلوا شيئًا يستحقون عليه العذاب، ولا يتنعمون التنعيم كله، لأنهم لم يقتبلوا العماد الذي هو شرط أساسي للنجاة من العقاب والحصول على مجد الخلود»** [٦].

هذا الفريق يرى أنهم لا ينعمون النعيم الكامل، ولا يعذبون، لعدم استحقاقهم العذاب وبعض اللاهوتيين نفي عنهم النعيم المتوسط، ونفي عنهم العذاب أيضًا،

(١) متى ٢٥ - ٤٦ .
(٢) علم اللاهوت النظامي ص ٢٢٥ .
(٣) نفسه وانظر رسالة روميه ٦ - ٢٣ .
(٤) شرح التعليم المسيحي جـ ١ ص ٢٣٣ .
(٥) علم اللاهوت النظامي ص ١١٧ .
(٦) علم اللاهوت جـ ٢ ص ٢٢٤ .

قال الفريق الآخر: «**إنهم يُعْدَمُونَ حقًا مشاهدة الله إلى الأبد بسبب الخطيئة الأصلية، إلا أنهم لا يتعذبون في النيران الأبدية**» (١) ومراد هذا الفريق أنهم لا يشاهدون الله؛ لأن الخطيئة التي وُلِدُوا وارثين إياها من آدم لا تمكنهم من رؤية الله والتنعم بذلك. وفي ذات الوقت لا يعذبون لعدم اقترافهم - بالفعل- الآثام. وينقل صاحب علم اللاهوت عن القديس غريقريوس قوله: «**إن الأطفال غير المعمدين لا يمجدون ولا يعذبون، لأنهم وإن كانوا غير مستنيرين وغير مقدسين بالمعمودية لم يخطئوا خطيئة شخصية، ولا يستحقون كرامة ولا قصاصًا**» (٢).

ونلاحظ أن هذه الأقوال والآراء لا يستدل أصحابها بفقرات من الأناجيل وأعمال الرسل، وإنما هي عبارة عن اجتهادات واستنباطات» (٣).

خلود النعيم للأبرار:

يعتقد النصارى في أبدية النعيم بالنسبة للأبرار. ورد في علم اللاهوت النظامي «**أبدية تلك الحال مصرح بها في الكتاب في غاية الوضوح، فقيل: والأبرار إلى حياة أبدية**» (٤) ويستدل علم اللاهوت النظامي بما ورد في متى ويوحنا الذي ورد فيه «**الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية**» (٥).

وبما ورد في يوحنا أيضًا «**ولأن هذه هي مشيئة الذي أرسلني أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية**» (٦) وبما ورد في أعمال الرسل: «**وآمن جميع الذين كانوا معينين للحياة الأبدية**» (٧) ويستدل بنصوص كثيرة جدًّا على أبدية حال الأبرار في النعيم (٨) ويتحدث ميخائيل مينا عن خلود النعيم للأبرار بقوله: «**إنه ثابت غير متناه؛**

(١) نفسه.
(٢) نفسه.
(٣) انظر علم اللاهوت جـ ٢ ص ٢٢٤ .
(٤) علم اللاهوت النظامي ص ٢٢٤ .
(٥) يوحنا ٥: ٢٤ .
(٦) يوحنا ٦: ٤٠، ٤٧، ٥١، ٥٤، ٥٨ .
(٧) أعمال الرسل ١٣ : ٤٨ .
(٨) رسالة تسالونيكي الثانية ٢: ١٠، وعبرانيين ٥: ٩، ١٢، ٢٥، رؤيا يوحنا ٥/٢٢ .

لأن ثبات السعادة هو شرط ضروري لكمالها؛ لأن السعادة متى حصلت مجهولة الثبات حصل في قلب مالكها خوف فقدها، ومن هذا الخوف يتولد الحزن الذي هو ضد السعادة الكاملة، ولن يكون هناك مرض ولا موت ولكن إشراق وبهاء غير منقطع» [١].

ب- النار في التصور النصراني:

ورد في قاموس الكتاب المقدس عن النار ما نصه **«في العهد الجديد أعطيت الهاوية معنى جهنم، أي أرض اللعنات والرجاسات ومسكن العذاب الأبدي** [٢]**، ومسكن العقاب للخطاة** [٣]**، والهاوية كمركز لكل أنواع العقاب** [٤] **ونلاحظ أن جهنم كما هي عند المسلمين مكان للعذاب كذلك يعتقد النصارى. يقول القس كارل وليمز عن جهنم بأنها «المكان الذي يعذب فيه المخطئون من النصارى»**. وسواء كانت نيران جهنم حقيقية أو لم تكن فإن جهنم نفسها حقيقة واقعة، وإذا كانت النار تشبيهًا مناسبًا للعقاب في جهنم فما أشد هول ورعب هذا العقاب [٥] ويعتقد النصارى أيضًا أن الأشرار مصيرهم النار في الآخرة. ورد في متى **«ثم يقول أيضًا للذين عن اليسار: اذهبوا عني يا ملاعين، إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته»** [٦] والعذاب في جهنم يكون بالنار والكبريت ورد في سفر الرؤيا **«إن كان أحد يسجد للوحش ولصورته ويقبل سمته على جبهته أو على يده فهو أيضًا سيشربُ من خمر غضب الله المصبوب صرفًا من كأس غضبه، ويعذب بنار وكبريت»** [٧].

وهناك تألم من النار وبكاء وصرير للإنسان. ورد في متى **«والعبد البطال اطرحوه إلى الظلمة الخارجية هناك يكون البكاء وصرير الأسنان»** [٨].

---

(١) علم اللاهوت جـ ٢ ص ١١٦ بتصرف.
(٢) متى ١٨: ٨٠ .
(٣) رؤيا يوحنا ٩: ١١، ١١: ٧، ٢٠: ٣٠ .
(٤) قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٠٨ .
(٥) الأمور المتيقنة عندنا ص ١٩٦ كارل وليمز الكبير. الناشر المجمع العام لكنائس الله.
(٦) متى ٢٥: ٤١ .
(٧) رؤيا يوحنا ١٤: ١١/١٩ .
(٨) متى ٢٥ : ٣٠ .

وكما يكون العذاب بالنار والكبريت كما ورد في الأناجيل التي بأيدي النصارى فإن هناك عذابًا معنويًّا يتمثل في غضب الله. ورد في رسالة بولس إلى أهل رومية ما نصه «**وأما الذين هم من أهل التحزب ولا يطاوعون للحق بل يطاوعون للإثم فسخط وغضب شديد وضيق على كل نفس إنسان يفعل الشر**» [١] وواضح من النص أن النصارى تعتقد في أن غضب الله يُعْتَبَرُ عذابًا من ألوان العذاب الذي يؤلم الأشرار في الآخرة.

وورد في رؤيا يوحنا الجمع بين العذاب الحسي والمعنوي، وأما الخائفون وغير المؤمنين والرجسون والقاتلون والزناة والسحرة وعبدة الأوثان وجميع الكذبة فنصيبهم في البحيرة المتقدة بنار وكبريت الذي هو الموت الثاني [٢].

والنص يوضح أن الأشرار وفاعلي الإثم يعذبون في بحيرة من نار وكبريت، وما هم فيه من العذاب يعتبر موتًا ثانيًا معنويًّا لا حسيًّا، إذ يعتقد النصارى أن العذاب في النار يكون أبديًّا. ونفس الجمع بين العذاب الحسي والمعنوي نجده في رسالة بولس الثانية إلى أهل تسالونيكي «**في نار ولهيب معطيًا نقمة للذين لا يعرفون الله والذين لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح، الذين سيعاقبون بهلاك أبدي من وجه الرب من مجد قوته**» [٣] النار واللهيب للذين لا يعرفون الله ولا يطيعون الإنجيل والهلاك الأبدي من وجه الرب.

وإذا كانت نصوص الأناجيل تجمع بين العذاب الحسي والمعنوي؛ فإن كثيرًا من النصارى لا يقولون بالنار الحسية، ويغلبون العذاب المعنوي المتمثل في غضب الله والهلاك الأبدي والموت الثاني وخلافه [٤].

---

(١) رسالة بولس إلى أهل رومية ١ : ٩/٨ .

(٢) رؤيا يوحنا: ٢١: ٩/٨.

(٣) رسالة تسالونيكي الثانية ١: ٩/٨.

(٤) انظر الكنز الجليل جـ ١ ص ٢٢٥، وانظر دراسات في علم الإسخاطولوجيا ص ٢٩/٢٧/٢٦/ ٣٠ سنزيد الأمر وضوحًا عند الحديث عن النعيم والعذاب بين الواقع المادي والتأويل الروحاني بين الإسلام والنصرانية واليهودية.

والبعض الآخر منهم يذهب إلى أنها نار حقيقية؛ لأن تكرار ذكر النار في النصوص الإلهية هو دليل واضح على حقيقة وجودها، وذكر النار لم يختلف وصفه في الأسفار الإلهية، فإذن يجب أن نفهمه على حرفه [١].

أبدية العذاب

يعتقد النصارى أن العذاب الذي يتعذب به الأشرار أبدي ولا نهاية له. وعندهم أن من دخل النار لا يخرج منها أبدًا إذ إن «**حال الأشرار لا تتغير** [٢]، **وأنه لا رجاء للهالكين مطلقًا**» [٣] ويستدل النصارى بنصوص كثيرة على أبدية العذاب بالنسبة لمن دخلوا النار إذ «**لا نهاية لقصاص الأشرار، وأنه لا توبة حقيقة ولا إصلاح في العالم الأخير**» [٤] ويستدل علم اللاهوت النظامي بأن تعبير المسيح بالعذاب الأبدي والهلاك الأبدي ست مرات تدل على أنه لا نهاية له، كما يتضح من استعمال لفظة أبدي نحو ستًّا وستين مرة في العهد الجديد، منها إحدى وخمسون إشارة إلى حياة الأبرار وغبطتهم، وفي اثنتين الإشارة إلى مجد الله، والباقي إلى أمور أخرى[٥] ويلفت علم اللاهوت النظامي النظر إلى نص في إنجيل متى، وهو عن مصير الأبرار والأشرار، فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية [٦] ويعلق على هذا النص بقوله: «استعملت العبارة مرتين: الأولى للإشارة إلى عذاب الأشرار، والثانية إلى حياة الأبرار، فإذا قلنا إن المقصود من الإشارة إلى عذاب الأشرار كونه بلا نهاية، فكذلك أيضًا حياة الأبرار بلا نهاية [٧] وهناك عبارات أخرى تدل على ذلك [٨].

---

(١) علم اللاهوت جـ ٢ ص ١٠٨/١٠٩ بتصرف.
(٢) علم اللاهوت النظامي ص ١٢٢.
(٣) نفسه وانظر متى ٢٦: ٢٤/٢٥ .
(٤) نفسه ١٢١٢ .
(٥) انظر علم اللاهوت النظامي ص ١٢١٨/١٢١٩ بتصرف.
(٦) متى ٢٥: ٤٦ . (٧) علم اللاهوت النظامي ص ١٢١٩ .
(٨) انظر يوحنا ٣: ٢٦، متى ١٨: ٨، ٢٥ : ٤١، مرقص ٣: ٢٩، رسالة تسالونيكي الثانية ١/٩ .

وما ذهب إليه علم اللاهوت النظامي يؤكده ميخائيل مينا بقوله: «**لا يغرب عن الأذهان أن العذاب المخلد والهلاك الأبدي والعقوبات الدائمة والاستغراق في النيران الجهنمية لهي كغيرها من الأسرار العسيرة الفهم في الديانة المسيحية، ومع ذلك فنحن ملزمون بتصديقها، والإيمان بها؛ لأن نصوصًا إلهية كثيرة أيدتها وأثبتتها**» [١]. ومع اعتراف ميخائيل مينا بأن العذاب الأبدي من الأسرار العسيرة الفهم إلا أنه يحاول تعليل ذلك العذاب الأبدي، وكيف أن خلوده لا يضاد العدل الإلهي، بل يوافقه تمام الموافقة، فبالرغم من أن ارتكاب الخطيئة كان قصيرًا إلا أن حب الخطيئة غير متناه، لأن الخاطئ يتمنى أن يحيا بلا انتهاء، وحيث إنه مات في خطيئته فهو بالطبع كان يرغب فعلها إلى الأبد إن اتفق له أن يحيا إلى الأبد [٢] وقد أوضحنا في مبحث الشفاعة كيف إن النصارى لا يفرقون بين الكبائر والصغائر ما دام الإنسان لم يعترف على خطاياه، وكيف أنهم لا يعتقدون في الشفاعة في الآخرة.

ثالثًا: الجنة والنار في التصور اليهودي

أ- **الجنة**: ورد في قاموس الكتاب المقدس تحت كلمة فردوس: «**الفردوس الأصلي الذي رتبه الله للإنسان قبل سقوطه** [٣]، **ووضع في وسطه شجرة الحياة، وأطلقت الكلمة على كل بستان في قصور الملوك**» [٤].

وورد فيه تحت كلمة جنات: «**جنات بساتين معدة للانشراح واللذات، منها جنات الملك سليمان** [٥] **وفيها سواقي وينابيع** [٦]، **وكانت هذه الجنات مصونة لكي لا يدخلها الغريب**» [٧].

---

(١) علم اللاهوت جـ ٢ ص ١٥٣، ١٥٤ .
(٢) علم اللاهوت جـ ٢ ص ١٥٤/١٥٥ .
(٣) سفر التكوين ٢: ١٠، ١٣: ١٠ .
(٤) قاموس الكتاب المقدس ص ٢٧٥ .
(٥) سفر الجامعة ٢: ٥ ونشيد الإنشاد ٤: ١٣ .
(٦) عدد ٢٤: ٦، وجامعة ٢: ٥ .
(٧) قاموس الكتاب المقدس ص ٢٧٥ - ٢٧٦ .

obeikandl.com

والملاحظة التي نسجلها هنا - كما سجلناها عند الحديث عن الجنة في تصور النصارى - هي أن العهد القديم عند الحديث عن الجنة لم يشر من قريب أو بعيد إلى أنها المكان الذي يثاب فيه الصالحون يوم القيامة، واليهود يعترفون بذلك، ويعتبرون أن خلو التوراة من الحديث عن الثواب والعقاب لا يضرها [١].

وإذا كان العهد القديم لم يتحدث عن الثواب للصالحين في الآخرة فلدينا بعض النصوص في التلمود التي تتحدث عن جزاء الصالحين يوم القيامة.

فعن مساحة الجنة ورد في التلمود **«مساحة مصر أربعمائة ميل طولاً وعرضًا، وأرض الموريين تكبر مصر ستين مرة، والمعمورة تكبر أرض مصر ستين مرة، والجنة تكبر المعمورة ستين مرة»** [٢].

وعن نعيم الجنة جاء فيه **«الجنة ليست مثل هذه الأرض، لأنه لا أكل فيها ولا شرب ولا زواج ولا تناسل ولا تجارة ولا حقد ولا ضغينة ولا حسد بين النفوس، بل الصالح سوف يجلس وعلى رأسه تاج ويستمتع برونق السكينة»** [٣].

يقول سعديا الفيومي مؤكدًا النص السابق: «نقلوا لنا - أي الآباء - أن دار الآخرة إنما الحياة فيها بالنور، وليس مع ذلك طعامٌ ولا شرابٌ ولا غشيان ولا تناسل ولا شرى ولا بيع ولا سائر الأمور التي في الدنيا، وإنما ثواب من نور الخالق عز وجل» [٤].

ويقول: **«دار الآخرة إذ لا غذاء فيها ولا تكسب، فلا معنى لرياض ولا لنبات ولا للأنهار ولا للجبال ولا للأودية ولا شيء من هذه»** [٥].

ولكن إذا كان علماء اليهود يقررون أن الجنة لا طعام فيها ولا شراب فقد كان

---

(١) انظر تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث لابن كمونة ص ٤٠: ٤٢ .
(٢) التلمود تاريخه وتعاليمه ص ٧٨ .
(٣) التلمود تاريخه وتعاليمه ص ٧٨ .
(٤) الأمانات والاعتقادات ص ٢٦٣ .
(٥) الأمانات والاعتقادات ص ٢٦٣ .

اليهود على عهد رسول الله ﷺ يسألون عن طعام أهل الجنة وشرابهم ليروا مدى صدقه ﷺ.

روى الإمام مسلم بسنده عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: كنت قائمًا عند رسول الله فجاء حبر من أحبار اليهود، فقال: السلام عليك يا محمد. فدفعته دفعة كاد يصرع منها، فقال: لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول رسول الله؟ فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله فقال رسول الله ﷺ: «إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي» فقال اليهودي: جئت أسألك. فقال رسول الله ﷺ: «أينفعك شيء إن حدثتك» قال: أسمع بأذني. فنكث رسول الله ﷺ بعود معه، فقال: «سل» فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟

فقال رسول الله ﷺ: «هم في الظلمة دون الجسر». قال: فمن أول الناس إجازة؟ قال: «فقراء المهاجرين». قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: «زيادة كبد النون» قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: «ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها». قال فما شرابهم عليه؟ قال: «من عين فيها تسمى سلسبيلا» قال: صدقت [1].

ونحن نجدُ من خلال أسئلة اليهودي لرسول الله ﷺ أنه يسأل عن الجنة وطعام أهلها وشرابهم، وكلما أجاب الرسول ﷺ قال اليهودي صدقت؛ لأن إجابة الرسول كانت موافقة لما يعتقده، فهل كان اليهود على عهد رسول الله ﷺ يعتقدون في النعيم الحسي في الجنة؟ من الجائز، ويكون حديث التلمود والأمانات والاعتقادات يصور اعتقاد فرق من اليهود غير الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ. هذا جائز أيضًا أو هو التبديل والتحريف الذي مارسه اليهود على اختلاف العصور للكتب التي أنزلها الله على أنبيائه؟

ونقرر هنا حقيقة هامة وهي أن حديث القرآن الكريم عن نعيم الجنة إنما هو

(١) صحيح مسلم جـ ١ ص ١٤٢ - طبعة عيسى البابي الحلبي.

خبر لا نسخ فيه ولا يحتمل إلا الصدق، وعليه فيكون نعيم الجنة الذي أخبر الله به موسى هو نفسه الذي أخبر به عيسى، وهو الذي صدق الرسول ﷺ فيه.

ولكن اليهود والنصارى حرَّفوا وبدَّلوا، وكان نعيم الجنة وعذاب النار مما حرفوا فيه، أوَلَمْ يقولوا ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة:١١١].

وقولهم هذا أكبر دليل على تحريفهم، ولذلك كذبهم الله وقال ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:١١٢].

وسوف نثبت من خلال التوراة والأناجيل وجود النعيم الحسي في الجنة، وذلك عند الحديث عن الجنة والنار بين الواقع الحسي والتأويل الروحاني عند النصارى واليهود.

ب- النار عند اليهود:

صور كُتاب الأسفار المقدسة الجحيم كأنه مكان مظلم تحت الأرض [١]، وله أبواب [٢]، وهو مكان مظلمٌ مخيف، سكانه يشعرون، ولكنهم في وجود بليد جامد [٣]، تذهب إليه نفوس الجميع [٤]، فيه القصاص [٥].

ومع أن التوراة قد خلت - كما سبق أن أوردنا- من الحديث عن الثواب والعقاب؛ فإن التلمود تحدث عن بعض أوصاف الجحيم الذي يعذب فيه العصاة.

فمن الحاخامات من يرى أن الجحيم له أبواب ثلاثة. باب في البرية، وباب في البحر، وباب في أورشليم، ويعلم التلمود أيضًا أن نار جهنم لا سلطان لها على

(١) سفر العدد ١٦: ٢٠ - ٣٣ .
(٢) أشعياء ٢٨: ١٠ .
(٣) صموئيل الثاني ٢٢: ٦، مزامير ٦: ٥ .
(٤) تكوين ٣٧: ٣٥ .
(٥) قاموس الكتاب المقدس ص ٢٥٠ .

مذنبي بني إسرائيل، ولا سلطان لها على تلامذة الحكماء الحاخامات، ولكن بعض الحاخامات قالوا إن الإسرائيليين الذين اقترفوا الذنوب سيذهبون مع الأجانب إلى نار جهنم، ويمكثون فيها اثنى عشر شهرًا وسوف تحرق روحهم، وسوف تثير الرياح أجزاءهم تحت نعال الصالحين [١].

وورد في التلمود أيضًا «**يعلم الشيوخ أن إبراهيم يجلس عند بوابة جهنم ويمنع أي شخص مختون من الدخول بينما يسقط غير المختونين في قرار الجحيم**» [٢].

ونظرًا لاعتقاد اليهود بأنهم أبناء الله وأحباؤه فإنهم لا يمكثون في النار أبدًا، وإنما هي فترة وجيزة يخرجون بعدها إلى الجنة، ورد في التلمود «**أن مصير الجميع من أبرار وأشرار إلى النعيم الخالد، فالأبرار ينعمون به بعد الوفاة مباشرة، والأشرار بعد استيفائهم الجزاء الذي حكم به عليهم؛ لأن القصاص الأبدي لم يُفْرَضْ سوى على جرائم معدودة كالانتحار وتضليل الأمة**» [٣].

وهذا الرأي مع سابقه يصوره القرآن الكريم بقوله ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران :٢٤].

يقول صاحب تفسير المنار عن الآية: «**قال «الأستاذ الإمام»**: والجملة عبارة عن استسهال العقوبة والاستخفاف بها، اتكالًا على اتصال نسبهم بالأنبياء، واعتمادًا على مجرد الانتساب إلى الدين، وكانوا يعتقدون أن ذلك كاف في نجاتهم، ومن استخف بوعيد الدين زاعمًا أنه خفيف في نفسه أو أنه غير واقع بمن يستحقه حتمًا تزول حرمة الأوامر والنواهي في نفسه، فيقدم على ارتكاب المحارم بلا مبالاة، ويتهاون في الطاعات المحتمة، وهكذا شأن الأمم عندما تفسق عن دينها وتنتهك حرماته، ظهر في اليهود ثم في النصارى [٤].

(١) التلمود تاريخه وتعاليمه ص ٧٩ .

(٢) فضح التلمود تعاليم الحاخامية السرية ص ٩٨ بقلم الأب أي بي برانتيس إعداد زهدي الفاتح - الناشر دار النفائس ١٩٨٣ .

(٣) التلمود أصله تسلسله وآدابه ص ١٤٣ .

(٤) تفسير المنار جـ ٣ ص ٩، ٢٠، ٢٢ - الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ .